

الكتاب الحائز على جائزة أفضل كتاب دوي غير رواضي في حفل  
توزيع جوائز الشارقة الدولية للكتاب لعام 2021

# قيادة محمد صلى الله عليه وسلم

## إعادة بناء تاريخي

جويل هيوارد



www.sharjah.com

ﷺ  
ﷺ  
ﷺ

قيادة محمد

إعادة بناء تاريخي



قيادة محمد ﷺ  
إعادة بناء تاريخي

جويل هيوارد

الشرقة  
2024

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية 2023/7/3685

|  |   |
|--|---|
| بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:   |   |
| عنوان الكتاب   | قيادة محمد ﷺ: إعادة بناء تاريخي                                 |
| تأليف:   | هبوارد، جويل  |
| ترجمة:   | دعنه، منال اسعد نمر   |
| بيانات النشر:  | عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2023                           |
| رقم التصنيف  | 239.62  |
| الواصفات:  | /محمد ﷺ// القيادة// الشخصية// السيرة النبوية// التاريخ الاسلامي |
| الطبعة:  | الطبعة الاولى   |
| يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى. |   |

ISBN: 978-9957-00-900-7

قيادة محمد ﷺ: إعادة بناء تاريخي

تأليف: جويل هبوراد، ترجمة: منال دعنه

الطبعة العربية الاولى: الاصدار الاول 2024

الإخراج الداخلي: دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة ©

دار الشروق للنشر والتوزيع  
عمان، الأردن / رام الله، فلسطين  
Email: shorokpub@gmail.com  
shorokpr@paimnet.com  
www.shorok.com

# الشروق

دار الشروق للنشر والتوزيع

مجمع المتحدة للتأمين، شارع الملك حسين، وسط البلد

هاتف: 4618190 / 4618191

ص.ب: 926463 الرمز البريدي: 11118 عمان - الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

عمارة أزمغنا، نهاية شارع مستشفى رام الله الحكومي، المصيون، رام الله

هاتف: 2975633 / 2991614 / 2975632 فاكس / 02/2965319

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher

## المؤلف في سطور

البروفيسور جويل هيوارد عالم ومؤلف نيوزيلندي / بريطاني يعمل حالياً كأستاذ الفكر الاستراتيجي في أكاديمية ربدان في الإمارات العربية المتحدة. ووصفته صحيفة الخليج اليومية بأنه «مرجع عالمي في الصراع الدولي والاستراتيجية الدولية». ووصفت صحيفة ناشيونال هيوارد بأنه «بارز» و«مؤرخ متميز في الحروب والاستراتيجيات العسكرية». كانت تعليقات كيركس أنه «بلا شك أحد أبرز المفكرين الإسلاميين في الأوساط الأكاديمية». ويعتبر أحد «الخمسمائة مسلم الأكثر تأثيراً في العالم»، مع إدراجه في طبعة عام 2023 من الـ خمسمائة مسلم مُشيرة إلى أنه «ينسج بين المعرفة والمنهجيات الإسلامية الكلاسيكية والأسلوب التاريخي الغربي ذات المصدر النقدي لخلق شعور مبتكر ومعقول بعناية للقضايا التاريخية المعقدة التي لا تزال مهمة في عالم اليوم». مع لقب شيخ، حاز هيوارد على الإجازة في كل من العقيدة (اللاهوت الإسلامي) والسيرة (السيرة النبوية) وغيرها من العلوم الإسلامية. شغل مناصب قيادية أكاديمية مختلفة، بما في ذلك مدير معهد الأمن الدولي والمدني في جامعة خليفة (الإمارات العربية المتحدة)، ورئيس قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية (أيضاً في جامعة خليفة)، ورئيس دراسات القوة الجوية في كلية كينجز في لندن، وعميد كلية القوات الجوية الملكية (كلاهما في المملكة المتحدة).

وهو مؤلف أو محرر لثمانية عشر كتاباً ومجلة رئيسية وعشرات المقالات التي تمت مراجعتها من قبل الأقران، وخاصة في مجالات الدراسات الاستراتيجية، والأخلاقيات الإسلامية للحرب والصراع، والتاريخ الإسلامي والغربي. وتشمل كتبه الحديثة الحرب في القرآن الكريم (2012)، والحرب خدعة: تحليل الحديث المثير للجدل حول أخلاقيات الخداع العسكري (2017)، الحصانة المدنية في الفكر الاستراتيجي الإسلامي التأسيسي: تحقيق تاريخي (2019)، وقيادة محمد: إعادة بناء تاريخي. فاز هذا الأخير بجائزة مرموقة عن «أفضل كتاب غير روائي دولي» في حفل توزيع جوائز الشارقة الدولية للكتاب لعام 2021. أحدث كتاب له هو النبي المحارب: محمد والحرب (2022)، الذي تلقى إشادة واسعة النطاق من قبل المراجعين.

قدم البروفيسور هيوارد المشورة الاستراتيجية للقادة السياسيين والعسكريين في العديد من البلدان، وقدم المشورة السياسية لشيوخ بارزين، وكان مدرساً لصاحب السمو الملكي الأمير وليام أمير ويلز، الوريث الشرعي للعرش البريطاني. في عام 2011، انتخب زميلاً في الجمعية الملكية للفنون، وفي عام 2012 انتخب زميلاً في الجمعية التاريخية الملكية. في عام 2016، حصل على لقب «أفضل أستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية» في حفل توزيع جوائز القيادة التربوية في الشرق الأوسط. والبروفيسور هيوارد ناشط أيضاً في الفنون الأدبية، وقد نشر ثلاثة كتب روائية وأربعة مجموعات في الشعر الإسلامي.

## فهرس المحتويات

|          |                           |
|----------|---------------------------|
| 10.....  | خريطة شبه الجزيرة العربية |
| 11.....  | المقدمة                   |
| 17.....  | القيادة الدينية           |
| 21.....  | فهم السلطة                |
| 27.....  | القيادة التشاورية         |
| 35.....  | القيادة بالقدوة           |
| 41.....  | التواصل المشترك           |
| 47.....  | الرؤية الاستراتيجية       |
| 57.....  | الاتصال الاستراتيجي       |
| 69.....  | القيادة العسكرية          |
| 81.....  | تعظيم الامكانيات البشرية  |
| 97.....  | القيادة الدبلوماسية       |
| 111..... | الخلاصة                   |
| 117..... | إضافة: دروس للقادة        |
| 125..... | قائمة المصطلحات           |
| 127..... | الحواشي                   |
| 153..... | قائمة المراجع             |
| 157..... | الفهرس                    |





﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. آل عمران (159)

«إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ»

«تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»

«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»

«انصحوني أيها الناس»

محمد قبل معركة بدر

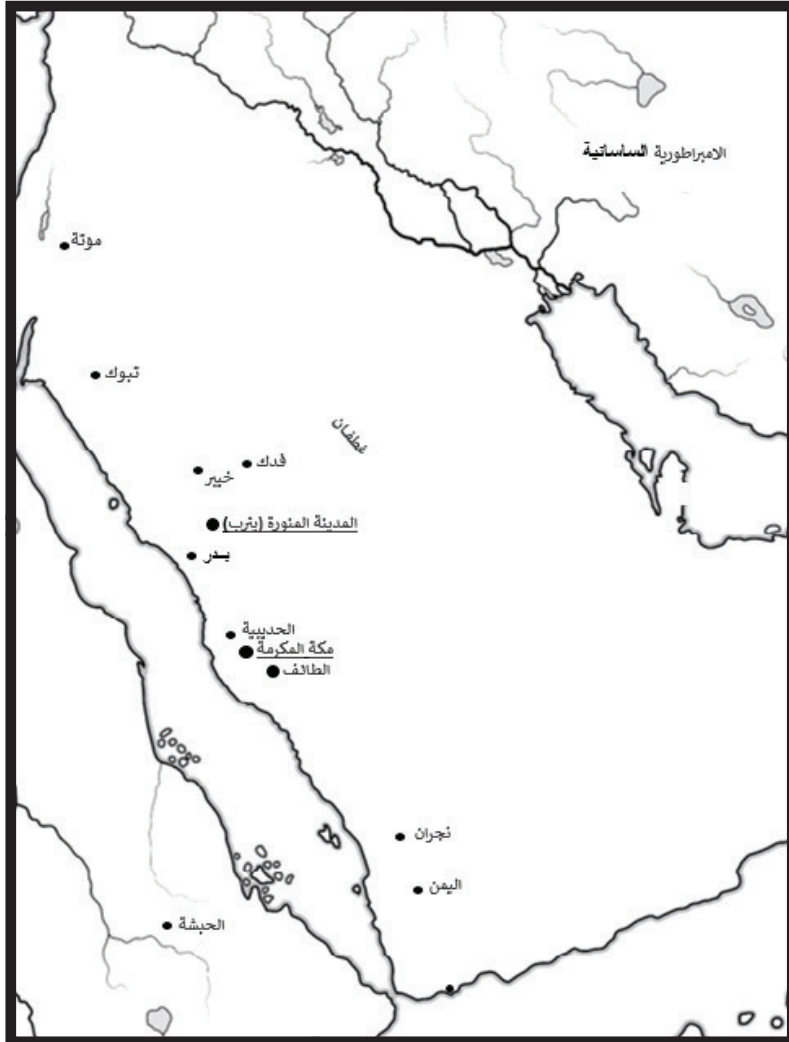
«حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْعَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا

وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا»

«يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَاتَّوَكَّلْ أَوْ أَطْلِقْهَا وَاتَّوَكَّلْ قَالَ «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»»

”فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»

## خريطة شبه الجزيرة العربية في القرن السابع



## المقدمة

دائماً ما يكون تقدير فعالية القيادة لأي شخصية تاريخية مسألة ذات إشكالية وذلك لسببين. أولاً، لأنه -وعلى الأرجح- أن تكون سجلات أفعال تلك الشخصية قد كُتبت من قبل مساعدين أو من قبل أعداء، وبالتالي فهي مُشعبة بالتحيز والتشويه، وثانياً، من الصعب تحديد ما إذا كان من المعقول أن نعزو النجاحات أو الإخفاقات إلى صفات القائد أو أفعاله، أو ما إذا كانت عوامل أخرى لا تُعد ولا تُحصى وتصرفات أشخاص آخرين قد لعبت أدواراً هامة في الطريقة التي جرت بها الأحداث.

إن فهم سمات القيادة لدى القادة العسكريين أمرٌ صعب بشكل خاص وذلك بسبب الولاءات العظيمة والشغف والكراهية التي تظهر خلال الحروب وبعدها. القادة الوحيدون الذين يصعب تحليلهم أكثر من القادة العسكريين هم القديسون والأنبياء. حُذ على سبيل المثال الحاخام اليهودي المتجول المعروف بيسوع. حتى أن وصف مهنته وعرقه بهذه الطريقة الدنيوية والصحيحة من الناحية الواقعية قد يُوْجج المشاعر لدى المسيحي الذي لا يعتبره إلهياً فحسب بل مثالياً.

تؤطر مثل هذه التحديات المعرفية فداحة مهمة محاولة قول شيء موضوعي ذي مغزى ودقيق عن قيادة فرد مثل النبي الإسلامي محمد. فقد كان قائداً عسكرياً منخرطاً في الحروب التي أسست قواعد سلطة جديدة، ونبياً أطلق طرقاً أصلية لفهم دين التوحيد وعلاقته بالسياسة.

يواجه العلماء الذين يتعرضون لحياة النبي محمد في الحال بالحرَج لأن أقدم المصادر المتوفرة والتي تُورخ حياته تعود إلى مائة وأربعين عاماً بعد وفاته في عام 632 ميلادي، حيث لا تتوفر أيّ مصادر تقريباً حتى ولو كانت ذات طبيعة مجزأة تعود إلى القرن «الصامت» الأول أو أكثر. إذا كتب أعداؤه أو حتى المراقبون المعاصرون المحايدون سجلات عن أفعاله، فإنها لم تدم باستثناء بعض الأسطر شبه المتماسكة للمؤرخين المسيحيين باليونانية والسيربانية والأرمنية والتي تتعارض في الواقع مع الرواية الإسلامية التقليدية في بعض الأماكن.

ومن الإشكالية أيضاً أن المصادر الوحيدة التي كتبت في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين بتفاصيل كافية لدعم بناء الروايات قد تم كتابتها من قبل مساعدين، والذين من المفترض أنهم استندوا إلى مصادر سابقة والتي هي مفقودة الآن أو استنادهم على تقاليد شفوية. مما يزيد من احتمال أن تكون المصادر مشبعة بالتحيز وربما تشمل التشويه أو التلفيق الذي أضيف لخلق أو على الأقل لتعزيز وجهة نظر واحدة مرغوبة.

لا ينبغي أن يُقرأ هذا على أنه تشكيك في الصفة التاريخية لـ محمد. بل إن الأمر على العكس من ذلك، حيث يتضح من السجلات الأثرية والنقدية والوثائقية التي تُشير إلى أن الجيوش العربية انتشرت من الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، وشنت حروباً كبيرة على المناطق المجاورة، وأسست معايير ثقافية جديدة ونظام حكم قوي باسم النبي محمد المتوفى حديثاً. ومن هنا يمكن للمرء أن يستنتج، بأن النبي محمد قد عاش بالفعل وأن دين الإسلام الجديد قد نَمى من خلال تعاليمه.

لا ينبغي على العلماء تجنب قول شيء هام عن حياة النبي محمد بسبب احتمالية وجود النزعة الذاتية أو التحيز في المصادر وحقيقة أن تاريخ هذه المصادر يعود للقرنين الثامن والتاسع. وإلا فإن عليهم التخلي عن محاولة الكتابة عن الاسكندر الأكبر، ويوليوس قيصر، ويسوع المسيح، والعديد من الشخصيات التاريخية الأخرى. وبنفس الإشكالية فإن المصادر الرئيسية لحياتهم مؤرخة بعد الأحداث بقرون، ولا تقل احتمالاً من وجود النزعة الذاتية فيها والتحيز. فعلى سبيل المثال، فإن أقرب مصدر يوناني موجود لحياة الاسكندر هو كتاب «مكتبة التاريخ» للمؤلف ديودوروس سيكولوس لأكثر من 265 عاماً بعد وفاة الاسكندر في عام 323 قبل الميلاد. والأسوأ من هذه الفجوة التي تبلغ 265 عاماً هو أن أقدم نسخة موجودة من المخطوطة للقسم ذي الصلة من الكتاب السابع عشر يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، بعد أكثر من 1500 عام<sup>(2)</sup>.

حتى أفضل الكتب الحديثة القليلة التي تثير الدهشة حول قيادة محمد هي - ومن منظور دراسات القيادة - قديمة الطراز إلى حد ما حيث أنها تُركز وبشكلٍ شبه كامل على الخصائص والسمات<sup>(3)</sup>. يقولون بأنه كان تقياً

وصادقاً ورحيماً ومتسامحاً وصبوراً وعادلاً وحاسماً وشجاعاً، تلك السمات التي جعلته قائداً عظيماً. هذه الكتب تستحق القراءة، إلا أنه، وباحترام المؤلفين، فإن منطقهم يعتمد على حجتين استنتاجيتين خاطئتين وهما: أولاً: لأن موروث حياة محمد هو دين عالمي مزدهر، مما يتوجب علينا أن نعتبره قائداً ناجحاً، وثانياً، لأنه كان رجلاً جيداً جداً لما تقدم من تلك السمات المذكورة أعلاه، وكان قائداً ناجحاً، فيجب علينا أن نستنتج بأنه كان قائداً ناجحاً لأنه كان رجلاً جيداً جداً.

يمكننا رفض الحجة الأولى على أساس أن عدم نجاح يسوع الدنيوي يثبت أن الموروث الديني الدائم ليس معياراً سليماً للحكم على قيادة النبي. يُقال بأن يسوع مات ميتة عنيفة بعد خدمة قصيرة الأمد ضمننت له في حياته عدداً قليلاً جداً من الاتباع ودون سلطة زمانية، ورغم ذلك فإن أكثر من ملياري انسان يزعمون أنهم يتبعون تعاليمه. ومن هنا يتبقى لنا الحجة الثانية. قد نتمكن من النظر إلى استنتاجاتها بهذه الطريقة:

جميع القادة الناجحين رجال أو نساء صالحين (الفرضية الأولى).

- كان محمد رجلاً صالحاً (الفرضية الثانية).

- كان محمد قائداً ناجحاً (الفرضية الثالثة).

- ولذلك كان محمداً قائداً ناجحاً لأنه كان رجلاً صالحاً (الاستنتاج)

هناك فرضية واحدة فقط تحتاج إلى أن تكون غير صحيحة ليكون الاستنتاج غير صحيح. الفرضية الأولى بحد ذاتها غير مستدامة. يكشف التاريخ أن العديد من الأشخاص المعيبين أو الفاسدين أو القساة المتوحشين بما في ذلك (بإجماع تاريخي) يوليوس قيصر، وجنيكز خان، ونابليون، وستالين وماو تسي تونغ، كانوا قادة ناجحين جداً. الفرضية الثانية مستدامة، على الرغم من مناقشة بعض النقاد لها. الفرضية الثالثة مستدامة بنفس القدر وبدون نقاش. بناءً على ذلك لا يمكن التوصل إلى الاستنتاج نفسه بسبب المغالطة المنطقية المتأصلة في الفرضية الأولى. إذا أزلنا الفرضية الأولى بالكامل، فلن يتبقى لنا سوى الارتباط وليس السببية. بمعنى أنه من الممكن أن يكون صحيحاً بأن الشخص الجيد هو قائد جيد. لكن من الممكن أن يكون

صحيحاً بنفس القدر أن الشخص السيء هو قائد جيد. وعلى نحوٍ مماثل، قد يكون صحيحاً بأن الشخص الصالح قائد سيء، وبشكلٍ مماثل يكون الشخص السيء هو قائداً سيء. ومن هنا فإن الصلاح الأخلاقي الذي يتمتع به القائد لا يتسبب بالضرورة في إحداث فعالية القيادة، كما يتبين لنا من اختبار الفرضية الأولى الفاشلة.

تتجنب هذه الدراسة استخدام السمات واللجوء إلى التقييم الأخلاقي كقاعدة أساسية في تشييد نجاح محمد في القيادة. وبدلاً من ذلك، فإنها تحاول تحليل أفكار النبي محمد القيادية والسلوك والأساليب المرتبطة بها من أجل التحقق فيما إذا كانت حياته المبهرة قادرة على توفير رؤى جوهرية وهادفة حول فعالية قيادته الإستراتيجية. وللقيام بذلك، لا بد من استخلاص المعلومات من مجموعتين من الأدلة التي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي: المجموعات السنوية الست الرئيسية من الأحاديث «التقارير» أو «التقاليد»، أقوال وممارسات محمد المسجلة، وأقدم كتب السيرة الموجودة (السيرة النبوية)، لا سيما كتاب السيرة النبوية لإبن هشام، وكتاب المغازي للواقدي، وكتاب الطبقات الكبير لإبن سعد<sup>(4)</sup>. قد يكون من الممكن استخدام هذه المصادر لتقديم دراسة حالة لحياة محمد من شأنها إزالة الغموض عن بعض العمليات المكونة للقيادة الاستراتيجية.

هذا التحليل هو عمل تاريخي وليس فقهي. والمؤلف هو مؤرخ وعالم في الدراسات الاستراتيجية، وليس بعالم دين أو فقيه. وباستخدام المنهجية المتبعة في التخصص التاريخي، تُحاول هذه الدراسة إعادة بناء أحداث القرن السابع من خلال تفسير المصادر الأولى وشرحها وتقييمها، كل ذلك مع ابقاء قضايا الحقيقة والموضوعية والانحياز نصب أعيننا. فهي لا تحاول مواجهة الفقه كما تطور لاحقاً بل الوصول إلى ما هو أبعد منه، أو على نحوٍ أكثر دقة وراءه في الزمن، إلى الأحداث التاريخية التي وقعت في الجزيرة العربية في القرن السابع. وكمساهمة متواضعة في أدب السيرة والدراسات الاستراتيجية والقيادية، يحاول التحليل الموضوعي بدلا من وصف بعض

الممارسات المحددة زمنياً من خلال السنوات الثلاث والعشرين التي قضاها  
محمد كقائد\*.

\*\*\*

\* ملاحظة: في الحديث يجد المرء بعد اسم محمد أو لقبه عبارة -صلى الله عليه  
وسلم- (ممثلة بالخط العربي). لم يتم استخدام هذا الخط في جميع أنحاء هذا  
الكتاب إلا في الاقتباسات المباشرة من الأحاديث





## القيادة الدينية

لعل نقطة الانطلاق المثالية تتمثل في دراسةٍ للكيفية التي فهم بها محمد القيادة، لأنَّ هذا من شأنه أن يُؤطر الطريقة التي يمكن من خلالها تحليل مدخلاته ونتائجه بشكلٍ منطقي. ويستطيع العلماء أن يجدوا أمثلة لفهمه وممارساته في الحديث. في القرنين الثامن والتاسع الميلادي، تحديداً في العراق وبلاد فارس، بدأ بعض العلماء بجمع وتقييم وتنظيم ونشر مجموعات من الأقوال والأفعال المنسوبة إلى محمد من خلال سلسلة من الرواة تعود إلى الصحابة الذين قيل أنهم سمعوا أو شاهدوا تلك الأقوال أو الأفعال. وعلى الرغم من مرور ما لا يقل عن قرن ونصف القرن منذ وفاة النبي، وعلى مرونة الذاكرة البشرية ونقصها حتى في المجتمعات ذات التقاليد الشفهية القوية، إلا أن مجموعات ضخمة من تلك الروايات بدأت تُشكل الأساس للكثير من الفقه الإسلامي والفلسفة. وفي الواقع، يُعتبر الحديث في الشريعة الإسلامية المصدر الثاني الأكثر أهمية وموثوقية الذي لا يفوقه إلا القرآن الكريم.

لا يمكن للمرء أن يقبل كل حديث أو حتى أغلبية الأحاديث باعتبارها موثوقة بالكامل، بمعنى تدويناً حرفياً تاماً لما قاله أو فعله محمد قبل 1400 عام، ولم يقل أيُّ من العلماء المسلمين أنه ينبغي قبولها على هذا النحو. ويُجمع العلماء على ضرورة النظر بعناية في كل حديث اعتمداً على اسناده (سلسلة الرواة) وال متن (اتساق مضمونة وجدواه). ومجرد وجود سلسلة سليمة لن يجعل الحديث غير المتسق أو غير المعقول موثقاً به؛ ولن يكون هناك بيان متسق أو معقول يفتقر إلى سلسلة سليمة.

كلاهما بحاجة لأن يكون موجوداً، وهذا الكتاب يعتمد فقط على الأحاديث النبوية التي تفي بهذا المعيار وتُعتبر موثوقة بإجماع العلماء. فهو لا يعتمد على أي حديث يعتبره المؤلف أو غيره من العلماء مُخادعاً أو غير موثقاً به على نحوٍ غير قابل للاستخدام، على الرغم من أن هذا يعني استبعاد العديد من الأحاديث عن قيادة محمد والتي أصبحت شائعة الآن بين المسلمين (مثل: «سيد القوم خادمهم»).

بصفته رجل عميق الإيمان، تبنى محمد القيادة وعلمها فهماً متمركزاً حول العقيدة. أي أنه يؤمن أن الله في نهاية المطاف يختار ويضع جميع

القادة في أماكنهم، بغض النظر عن الإجراء المحدد لتعيين الشخص لدور قيادي داخل المجتمع أو الجيش.

كما اعتقد محمد أيضاً بأن المسؤولية الرئيسية للقائد هي أن يعمل كراعٍ. تؤكد الأحاديث الموثوقة أنه رأى التفاعلات البشرية من حيث المسؤوليات الممنوحة من الله لتوفير السلامة والتوجيه والرعاية، في سنن أبي داود، على سبيل المثال، نجد هذا الحديث المنير:

«روى عبد الله بن عمر عن رسول الله أنه قال: أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ، وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلكُمْ رَاعٍ، وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ.»<sup>(5)</sup>

نحن نعلم أن كلمة «مسؤول» تعني باللغة العربية الفصحى تقديم حساب عن سلوك الشخص، لأن القرآن فيه هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(6)</sup> وهذه الآية:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(7)</sup>

يكشف هذا أن القائد هو راعٍ مسؤولٌ ومحاسبٌ عن سلامة القطيع وحياته، وهو موقفٌ تُعززه تصريحات أخرى من تصريحات محمد: رأى ابن عمر راعياً مع بعض الأغنام وقد وضعت في مكان سيء للغاية رغم أنه رأى أن هناك مكاناً أفضل. فقال له ويلٌ لك أيها الراعي. انقلها! فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته).<sup>(8)</sup> لم تكن الصورة التوارثية المجازية المتعلقة بالرعي من قبيل الصدفة. اعتقد محمد أن نبوءته هي في الجوهر نفس الدعوة التي أُعطيت لإبراهيم وموسى وداود وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ورأى رعاية القطعان عملاً مشتركاً لجميع الأنبياء:

فعن جابر بن عبد الله: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْزِي الْكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ. قَالُوا: أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا؟!<sup>(9)</sup>

قد يميل المرء إلى قراءة الحديث بطريقة مجازية بحتة، وهو أن محمد كان يقول أن جميع الأنبياء كانوا مثل الرعاة بسبب عبء مسؤولياتهم اتجاه الآخرين. بمعنى أنهم يحرسون ويحمون رعاياهم. ولا شك في أن هذا المعنى متضمن في بيان محمد. ومع ذلك، لدينا أحاديث أخرى تكشف أنه قصد أيضاً أنه هو وغيره من الأنبياء كانوا حرفياً يراعون الماشية:

قال عبدة بن حزن: «افتخر أصحاب الإبل وأصحاب الغنم عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بِعَثَ دَاوُدُ، وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ، وَبِعَثَ مُوسَى، وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ، وَبِعَثْتُ أَنَا، وَأَنَا أَرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِي بِحَيَادٍ» (10)

وبالمثل

عن أبي هريرة عن الرسول أنه قال «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ». (11) وفي قوله ذلك أراد أن يوضح أن الله هياً جميع الأنبياء للاضطلاع بأدوار قيادية بتعليمهم أولاً رعاية الأغنام، وهي مسؤولية تنطوي على التفاني والهدوء والصبر العظيم. وبالتأكيد اعتقد أن طبيعة الرعي الهادئة والصبورة، بخلاف تربية الخيل والابل، تزيد من هدوء الراعي.

عن أبي هريرة أن رسول الله قال «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخَيْلُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» (12)

وعلى هذا فقد يفترض المرء أنه طالما أن الهدوء صفة مرغوبة في القائد، فإن محمداً كان ليُسر برؤية النساء في مناصب قيادية. ولكن يبدو أن الحديث الشريف يُشير - إذا ما قرئ بدون انتقاد - بأن محمد يعتقد أنه لا ينبغي للنساء في واقع الأمر أن يتقلدن أدوار القيادة السياسية.

قال أبو بكر: «حفظني الله بشيء سمعته من رسول الله لما هلك كِسْرَى [يعني: ملك الإمبراطورية الساسانية] قال: مَنْ اسْتَخْلَفُوا؟ قَالُوا بَنَتْهُ [من المفترض أن تعني الملكة بيران - دخت (13)] قال: لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرُهُمْ امْرَأَةً» (14).

وبما أن هذا التأكيد يتناقض مع الوصف الإيجابي للملكة سبأ في القرآن بأنها زعيمة قوية وحكيمة ومستقلة (15)، وأنه لا يُنظر إلى أبي بكر على أنه راوٍ ثقة (16) لا يتفق العلماء على موثوقية الحديث ومدى امكانية تطبيقه. بالرغم من أن الفقهاء يستطيعون إثبات أن الله قد اختار أشكالاً معينة من

القيادة العسكرية والدينية التي يجب أن يتولاها الرجال- على سبيل المثال أئمة المساجد وجنرالات الجيوش<sup>(17)</sup> - لا يمكن للمرء ببساطة أن يدعي أن النساء مستبعدات من أدوار القيادة السياسية والاجتماعية. ويكشف القرآن أن التعيين الالهي في الإسلام هو الأساس لكافة القيادات، وأن الله يُعطي الأشخاص الذين يختارهم أدواراً قيادية، وأن هذا التعيين يُفسر كلاً من القادة الجيدين والسيئيين. يتحدث القرآن عن إبراهيم ونسله النبوي، قائلاً:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾<sup>(18)</sup>

وبالمثل يقول القرآن في سورة أخرى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(19)</sup>.

من الواضح أن بعض القادة لم يتم تعيينهم لصلاحهم، ويُعطي القرآن أمثلة حول لفظ (إمام) الذي ينطبق حتى على المعارضين الأشرار للإسلام: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾<sup>(20)</sup>

وبالمثل:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾<sup>(21)</sup>

من الواضح أن العمل الأساسي المرتبط بكلمة «إمام» هو تقديم الإرشاد، كما توضح آية أخرى باستخدام الكلمة للكتب المقدسة نفسها: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشُرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(22)</sup>

وهذا لا يعني أن أتباع الإسلام ملزمون بالامتثال لتوجيهات أي قائد. يقول القرآن أن «المؤمنين» يجب أن لا يطيعوا العصاة والكفار ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾<sup>(23)</sup>، بل يجب عليهم أن يطيعوا القادة الصالحين أخلاقياً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(24)</sup>

\*\*\*

## فهم السلطة

والقرآن واضح بأنّ الناس في المجتمع المؤمن مطالبون بالانصياع ليس فقط لتوجيهات النبي، ولكن أيضاً لتوجيهات القادة بينهم «وأولي الأمر منكم». يُشير حديث إلى أنّ هذه الآية تتعلق في البداية بتعيين محمد لـ عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي لقيادة كتيبة في غارة<sup>(25)</sup>. بعبارة أخرى، كان الله يقول بأن العديد من الأشخاص الذين عينهم النبي كقادة يستحقون الطاعة التامة.

ظهر الجذر الثلاثي لـ (أ م ر) 248 مرة في القرآن، أكثرها شيوعاً كان (166 مرة) هو الأسم (أمر) و (77 مرة) على شكل فعل الأمر (أمر)، وكلاهما يشير إلى «القيادة» أو «الأمر»<sup>(26)</sup>. وظهر الجذر الثلاثي للكلمة (ط و ع) 129 مرة في القرآن، أكثرها شيوعاً (72 مرة) على شكل الفعل (أطاع)، والذي يعني ببساطة «الطاعة». وبالتالي يظهر جلياً أن القيادة وفقاً للقرآن، تنطوي على العلاقة بين القادة الذين منحهم الله سلطة القيادة والنظام، وبين المنقادين ممن يتوجب عليهم طاعة هؤلاء القادة.

إن الوحي القرآني واضح بأن سلطة الأنبياء جاءت من عند الله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ»<sup>(27)</sup>. وقد مُنح عيسى السلطة بهذه الطريقة وكان يجب أن يُطاع. وهكذا نجد في سورة آل عمران:

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾<sup>(28)</sup>

وهذا بالطبع يعكس ما نجده في العهد الجديد، الذي يقتبس تعليمات عيسى لأتباعه، «ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي»، وبسؤاله، «لماذا تدعونني يا رب يا رب وانتم لا تفعلون ما أقوله؟»<sup>(29)</sup>. لا ينبغي للمرء أن يندهش عندما يجد عيسى يطلب الطاعة. لأنها كانت امتيازاً مُنحت للأنبياء العبرانيين من قبله، كما تكشف التوراة: «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه»<sup>(30)</sup>.

وبالمثل فإن القرآن يساوي بشكل مباشر بين الطاعة للنبي محمد وطاعة الله في قوله: «من يُطع الرسول فقد أطاع الله»<sup>(31)</sup>.

نجد هذا أيضاً صريحاً في الحديث المقتبس عن محمد «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»<sup>(32)</sup>.

لذلك يمكن للمرء أن يرى أن النبي في موقع قيادي فريد من نوعه. وحتى أكثر من ضابط عسكري كبير في عالم اليوم -الذي يمنحه وضعه الرسمي ومنصبه داخل التسلسل الهرمي سلطة هامة ومباشرة على أولئك ممن هم تحت قيادته، بالإضافة إلى القدرة بالشروع في اتخاذ التدابير الرسمية ضد أي شخص يخالف التعليمات القانونية- يمكن للنبي أن يطالب بالطاعة التامة لأي أمر، وباتخاذ العقاب الإلهي لأي شخص قد يعصي. كما جاء في القرآن:

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(33)</sup>.

لا يعني هذا أن الأنبياء يطاعون دائماً. الأمر الذي كان في كثير من الأحيان سبباً لحزن محمد عندما كان يجد نفسه معصياً. فعلى سبيل المثال: أثناء معركة أحد في شهر مارس من عام 625 ميلادي. عصى أفراد من جيشه تعليماته الواضحة وذلك بتركهم لتل مهم من الناحية التكتيكية، مما تسبب بهزيمة عسكرية<sup>(34)</sup> وقد أشار القرآن مباشرة إلى هذا العصيان بقوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(35)</sup>.

حثت آية قرآنية أخرى محمد على عدم الشعور بالإحباط، بل أن يغفر للعصاة في أحد وأن يظل مترفقاً بهم:

«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين»<sup>(36)</sup>.

في القرن السابع في الجزيرة العربية، تم التعبير عن طاعة القادة من خلال تعهد رسمي بالولاء يسمى «البيعة»، وهي كلمة مشتقة من الجذر العربي لبيع، التي تدل على البيع والشراء. ولذلك كان هذا التعهد في الأصل معاملة يتم المصادقة عليها بمصافحة الأطراف المعنية<sup>(37)</sup>. وقد انطوت على

مسؤوليات ثنائية الاتجاه، موافقة القائد بشكل ضمنى أو صريح على القيادة بعدلٍ وحكمة وربما بمنح السخاء، وبموافقة الطرف الآخر على الانصياع للتعليمات وبتقديم الخدمة المطلوبة وأي ضرائب أو جزية منصوص عليها. إن مفهوم طاعة محمد هي نفسها طاعة الله مثبت وواضح في المصادر. يُخبر القرآن محمد، الذي وفي شهر مارس من عام 628 للميلاد، قبل شخصياً تعهد أتباعه بالمصافحة (الذي سبق مباشرة معاهدة الحديبية)، بأن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(38)</sup>.

وهكذا، فإن مبايعة محمد كانت أكثر من مجرد مسألة مدنيّة تفاعلية، بل كانت أيضاً ملزمة دينياً. تكشف المؤرخة إيلا لآنداو تاسيرون عن مدى جديتها:

«كان [تبادل] التعهدات مع النبي (والتي كانت تتم بالمصافحة) بمثابة البيعة مع الله وشكلت التزاماً لا لبس فيه تجاهه.... ويشرح مفهوم البيعة هذا وجهة النظر الإسلامية بأنه لا رجعة فيه. إن نقض البيعة التي تم تبادلها مع النبي نيابة عن الله يصل إلى حد الردة، وهو مثل الكفر، ويعاقب عليه بالموت»<sup>(39)</sup>

هناك المئات من الأحاديث التي تُعبر عن الجديّة التي كان محمد وأصحابه وأتباعه ينظرون بها إلى البيعة.

ومع ذلك، لا ينبغي للمرء أن يُخطئ في اعتبار هذا التعهد الرسمي بديلاً غير مرن قائم على الخوف للقيادة الجيدة، وأن أتباع محمد خافوا منه ومن عواقب نقضهم، وأن طاعتهم كانت بسبب ذلك الخوف فقط. بل على العكس من ذلك، وكما سيُتبين أدناه، فقد كان لمحمد مواهب رائعة من الإلهام والاقناع. وقام أتباعه على خدمته بإخلاص واحترام وتعلق كبير.

حتى أن قسم البيعة له كان اللطيف في النية مما تُوحى إليه بعض الآيات القرآنية التي تبدو متوقعة إلى حد ما في أعلاه فيما لو قرئت بدون سياق. حيث أنها تحتوي على مؤهل «بذل قصارى الجهد». على سبيل المثال، في صحيح البخاري، نجد هذا الحديث: «كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى



السَّمْعِ والطَّاعَةِ، يقولُ لَنَا: «فِيما اسْتَطَعْتُمْ».<sup>(40)</sup> على نحوٍ مماثل، عندما دخل محمد مكة عام 630 ميلادي على رأس جيش قوامه عشرة آلاف جندي فاتحاً لمسقط رأسه دون إراقة للدماء، مُسارعاً إلى مسامحة أهلها عن ثمانِي سنواتٍ من القتال وسنواتٍ عديدةٍ قبل ذلك من السخرية والاضطهاد، وطلب منهم رسمياً التعهد الجماعي بالولاء. وأمام الكعبة، البيت الحرام وسط مكة، وقبل وعدهم بالاستماع إليه وطاعته، «قدر استطاعتهم».<sup>(41)</sup>

وعادةً ما كان العهد نفسه جنباً إلى جنب مع مصافحة الأيدي يتضمن صيغة تنطوي على الوعد بالاستماع إلى النبي والامتثال لتعليماته، وعدم إشراك أي آلهة مع الله وبالعيش حياة كريمة وفقاً لتعاليم الإسلام، وأن يكونوا جيدين مع المسلمين الآخرين، وربما أيضاً القيام بمهام معينة، كالهجرة إلى المدينة المنورة أو المشاركة في غارة أو معركة نيابة عن النظام السياسي الإسلامي.

ترد عبارة «على السمع والطاعة» للنبي في كل حديث عن البيعة تقريباً ويضع على التابع مسؤولية إيجابية وليست سلبية، لمحاولة فهم نوايا محمد.

سواء أحب المرء المهمة أم لا، كان على التابع أن يطيع<sup>(42)</sup>. ومع إدراكه أن بعض القادة قد يعتمدون على مفهوم الطاعة هذا لإجبار التابعين على القيام بأشياء غير أخلاقية، أوضح محمد أن محاولة فهم ما يُطلب القيام به ولماذا (الاستماع) كان لا يقل أهمية عن تنفيذ التعليمات (الطاعة)، مع ضرورة التفكير الناقد لتحديد فيما إذا كانت تعليمات المهمة صالحة<sup>(43)</sup>.

كان محمدٌ لطيفاً ومرناً عندما كان يُدرك أحياناً أن بالإمكان تحقيق منفعة كبيرة بإعفاء شخص ما من النذر. وعندما صدف أن أخبره شاب أن تعهده بالهجرة معه (المفترض إلى المدينة) قد جعل والديه يبكيان، عندها قال له بكل إنسانية «ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما»<sup>(44)</sup>.

كما كانت الطاعة غير مطلوبة في حال انتهكت أي من التعليمات مبادئ الإسلام أو حتى الفطرة السليمة (المعروف بأنه جيد)<sup>(45)</sup>. على سبيل المثال، بعد أن أقسموا على طاعة قائد كتيبة والذي عينه النبي، كان بعض الجنود بطيئين في اشعال النار التي طلبها القائد. ثم غضب وأمرهم بأن يُضرموا

ناراً ويلقوا بأنفسهم فيها. أشعلوا النار كما ينبغي، ولكن وقبل القاء أنفسهم اعترضوا وقالوا للقائد: «تبعنا رسول الله ﷺ هرباً من النار (يقصدون جهنم). كيف لنا أن ندخلها الآن؟». أخمدت النار وهدأت أعصاب القائد. عندما سمع محمد بالقصة، قال، «لو دخلوها (يعني النار) لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف».<sup>(46)</sup> كما يمكن للمرء أن يتخيل الحماسة التي صاحبت التعهد بطاعة محمد. إن نقض العهد من شأنه أن يثير غضب الله، وعلى العكس من ذلك، فإن الحفاظ على العهد يجلب المكافآت الروحية بما في ذلك الفردوس (الموصوفة في الآية السابقة «أجرٌ عظيم») وأيضاً التوفيق والبركات في هذه الحياة. ومع هذا نجد رجالاً أقوياء يتعهدون بالولاء مقابل وعود بمنفعة دنيوية. لدينا سجل بذلك فعلى سبيل المثال، عمرو بن العاص، خصم مكّيٍّ لمحمد، والذي أخيراً قسم الولاء لمحمد «بشرط العفو عن خطاياها السابقة، وأن يعطيه [محمد] دوراً فاعلاً في الشؤون العامّة، وقد أعطي ذلك»<sup>(48)</sup>. أصبح عمرو بطلاً اسلامياً كبيراً، قاد الفتح الاسلامي لـ مصر وشغل منصب حاكمها في 640-646 و 658-664 الميلادي.

لم تكن المكافأة على الطاعة أمراً غير عادي، ففي نهاية المطاف، يتضح من القرآن أن الولاء وطاعة النبي من شأنهما أن يحققا الفوائد الدنيوية. يقول القرآن فيما يتعلق بإولئك الذين أدوا بيعتهم في الحديبية:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.<sup>(49)</sup>

\*\*\*



## القيادة التشاورية

في الآية القرآنية المذكورة آنفاً من سورة آل عمران، والتي يثني فيها الله على محمد لكونه «لطيفاً وليس «فظاً غليظ القلب» رغم معاناته من هزيمة عسكرية بسبب عصيان بعض جنوده، فإن الله يطلب من محمد بأن «يعفو عنهم ويستغفر لهم». واللافت للنظر أنه بدلاً من أن يفرض على العصاة أي شكل من أشكال العقاب أو الاقصاء، يقول لمحمد أن يتعامل معهم بهذه الطريقة» «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ».

الشورى هي شكلٌ من أشكال التشاور بين الأقران وصنع القرار التشاركي موجود بين القادة العرب على جميع المستويات. وأصولها سبقت الإسلام<sup>(50)</sup>. وتنطوي على مناقشة المشاكل أو القضايا من قبل مجموعات من الأقران بهدف تحديد طريقة للمضي قدماً من خلال الحوار، والنقاش القائم على الاحترام واتخاذ قرار جماعي. وتبدو مناسبة بشكل مثالي للمجتمعات القبلية، حيث يمكن لأفراد القبائل المختلفة الاجتماع كأقران لتقرير الأمور ذات الاهتمام المشترك، أو حيث يمكن لكبار السن أو الشيوخ في القبيلة الاجتماع لتقديم المشورة أو للعمل كوكلاء للمساءلة عن الزعيم.

كما يصف القرآن الشورى على أنها وظيفة اجتماعية هامة لجميع الناس في كل مكان، وكوسيلة ضرورية لاكتساب الحكمة. ويضع الشورى جنباً إلى جنب مع الصلاة والعمل الخيري كسلوك انساني أساسي:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(51)</sup>

وهذا يلخص أسلوب القيادة الذي اتسم بدرجة عالية من التشاور والذي حاول محمد بكل اصرار أن يستخدمه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من زعامته. على الرغم من أن مجتمعاً قد أقسم رسمياً على طاعته من خلال البيعة، وهو ما أخذه على محمل الجد، إلا أنه تجنب تحقيقها بقسوة على الآخرين، مدركاً أن الناس من حوله يمتلكون وجهات نظر وأفكار ورؤى قد تساعده في اتخاذ قراراتٍ أقوى من تلك التي يمكن أن يتخذها بنفسه. كما أن لهم كرامة يمكن تعزيزها بإدماجهم.

كان محمد يحب الأفكار الجيدة أياً كان مصدرها. ولذلك طلب المشورة بشكل روتيني، واستمع بشكل محايد، وأثنى على المساهمين، وفكر وقرر، ثم وثق بالله. لم تكن فقط عملية استماع للحصول على النصيحة. وقد سعى قدر المستطاع للحصول على الإجماع الذي كان يوافق عليه، وكان من الواضح أنه يستمتع بصنع القرار التشاركي.

وإدراكاً منه أنه كان نبي معين من الله وأنه رجل عادي في الوقت نفسه ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ عبارة غالباً ما كان يستخدمها<sup>(52)</sup>، فقد ظل قادراً نفسياً على التغلب على هذا التوتر المتأصل، ولم يخلط أبداً بين أفكاره وبين ما يوحى إليه من الله. وبالتالي، وعلى هذا النحو، فقد أوضح أنه يريد مدخلات من الآخرين بشأن الأمور التي كان يقررها بنفسه، بخلاف التوجيه الإلهي الذي يتم توصيله من السماء. وبالتالي أوجد بيئة مفتوحة وآمنة يستطيع فيها الناس مناقشته أو حتى مناقضته دون أن ينظر إليهم نظرة انتقاص على أنهم قليلي احترام أو غير مخلصين. وبعيداً عن كونه الأمر النهائي بعلمه الكلي، فقد كان صانع قرار شامل واستشاري وكانت أفكاره الخاصة قابلة للمناقشة والتحسين أو حتى للانتقاد البناء.

وبالفعل، تكشف أقدم السيرة الموجودة، وهما السيرة النبوية لإبن هشام وكتاب المغازي للواقدي، أنه وقبل كل حدث كبير في حياة محمد، بما في ذلك الهجرة من مكة إلى المدينة في سنة 622 ميلادية وجميع الغزوات والمعارك اللاحقة، كان يتشاور مع المقربين الثقات. على سبيل المثال، قبل الانتصار الكبير الأول للاسلام في معركة بدر في 13 مارس 624 ميلادية، ناقش النبي الخيارات أولاً مع دائرته الداخلية، متسائلاً فيما إذا كان ينبغي عليهم الانسحاب أو المضي قدماً. قال «انصحوني أيها الناس». وبدا أنهم يدعمون التقدم إلى المعركة، وقد تشجع محمد بشكل خاص عندما وعد المقداد بن عمرو بأن محمد يمكنه الاعتماد على الدعم الكامل من أتباعه، على عكس قوم موسى الذين لا يريدون القتال معه<sup>(53)</sup>. لم يتوقف محمد عند هذا الحد. ثم تشاور مع الأنصار، مواطني المدينة الذين استقبلوه بينهم وفي وسطهم، طالباً النصيحة، متلقياً النصيحة الإيجابية التي تؤكد بأنهم سيحترمون بيعتهم «بالسمع والطاعة» وأنهم سيقاتلون بالفعل إذا رغب في المضي قدماً.

شملت معركة بدر مثلاً لافتاً آخر على سعي محمد وبنشاط للحصول على المشورة قبل اتخاذ القرار. عندما قاد قواته المؤلفة من 313 جندياً إلى وادي بدر الرملي، جنوب غرب المدينة المنورة، اقترح إقامة معسكره، وبالتالي خط قتاله في موقع معين. ثم بعد ذلك طلب من أصحابه النصيحة في اختياره. سأل الحُباب بن المنذر وهو من الخزرج «يا رسول الله، أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟»<sup>(54)</sup>

قد يبدو هذا ضرباً من الوقاحة على مسمع عصرنا الحديث، إلا أن محمد لم يستهجنه. وردّ قائلاً: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». ثم قال الحُباب بن المنذر الحقيقة صراحةً للرجل الذي رآه رسولاً لله: «فإن هذا ليس بمنزل!»<sup>(55)</sup>. ثم شرح مبرراً، بأن عليهم أن يقيموا معسكرًا بالقرب من أبعد الآبار التي يمكنهم استغلالها للحصول على المياه العذبة، مع حرمان العدو من تلك الآبار والآبار القريبة. لم يكن محمد منزعجاً لأنه لم يفكر في هذا الأمر، ولم يلدغه النقد الذي وجهه لإختياره، ووافق على الفور على نصيحة الحُباب. وأمر بنقل المعسكر إلى مكان الآبار المحددة، وتمتع في اليوم التالي بتحقيق انتصار كبير على قوة أكبر بكثير من قوته.

يبرز الحُباب بن المنذر بشكل متكرر وإيجابي في سير محمد المبكرة، والمثير للاهتمام أنه عاد وصحح الرسول مرة أخرى فيما يتعلق بتمركز القوات. ففي بداية غزوة الطائف في فبراير لعام 630 ميلادي، بعد ست سنوات من معركة بدر، حيث نصب محمد معسكره بالقرب من أسوار المدينة، مرة أخرى طعن الحُباب القرار قائلاً: «يا نبي الله إننا قد دنونا من الحصن، فإن كان عن أمر سلمنا، وإن كان عن الرأي فالتأخر عن حصنهم»<sup>(56)</sup>. وأوضح أنهم كانوا في مرمى سهام العدو، وكانوا يعانون من الإصابات.

قد يتصور البعض أن محمد تحمّل هذا النوع من التصحيح قبل ست سنوات لأنه كان حينها قائداً عسكرياً حديثاً -وأنه الآن وبعد انتصاره في العديد من المعارك بالإضافة لفتحه مكة- أصبح يرى نفسه خبيراً بما فيه الكفاية بحيث سيكون أمر التصحيح مزعجاً له. ليس هذا فحسب، بل كان

نبي معين من الله والذي كما يقول القرآن ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(57)</sup>. ومع ذلك لم تكشف المصادر عن أي فزع أو ضغينة. بل طلب محمد المتواضع من الحُباب بأن يجد لهم مكاناً أفضل ينسحبون إليه، وهذا ما فعله.

وتكشف المصادر أن حصار الطائف لم يسر على ما يرام، وأن الخسائر كانت تتصاعد بعد ثمانية عشر يوماً عصبياً، ولذلك طلب محمد النصيحة من نَوْفَل بن معاوية الدَّيْلِي وهو محارب بارع. هل يجب عليهم الاستمرار أم كسر الحصار؟ وردَّ نوفل رداً بليغاً، موضحاً أن محمد قد دفع بالفعل بـ«الثعلب إلى حجره» وأنه إن أصر محمد فالنصر سيأتي في نهاية المطاف، ولكن إن اختار الانسحاب فإن الثعلب لن يسبب أي ضرر<sup>(58)</sup>. أُعجب محمد بالنصيحة وفكر وأمر بالانسحاب. اشتكى مستشارون آخرون بمرارة، بعد أن أمضوا أكثر من أسبوعين سعياً للنصر، معتقدين أنها نصيحة سيئة. كان من المحتمل أن يكون النصر وشيكاً. ظل محمد صبوراً، ووافق مع رأي الأغلبية بوجوب محاولة هجوم آخر في صباح اليوم التالي<sup>(59)</sup>. إلا أن الهجوم فشل في تحقيق ذلك مع العديد من الضحايا، ولذلك عندما أمر محمد بالانسحاب، فإن الصحابة الذين طالبوا سابقاً بمحاولة أخرى كانوا مرتاحين بالفعل هذه المرة.

قد يبدو أن التشاور واتخاذ القرارات الشاملة لم يحدث إلا في وقت الحروب، ولكن الأمر لم يكن كذلك. حتى فيما يخص المسائل الاجتماعية والثقافية، كان محمد يحب التواصل مع الناس والاستماع إلى وجهات نظرهم، والإشادة علناً وبشكل روتيني برأي الشخص الذي بدأ النقاش أو الذي ساد رأيه في نهاية المطاف، حتى وإن كان مختلفاً عن رأيه. كان يُسر بالأفكار الجيدة، وتأكد من أن الجميع يعرفون من الذي قدمها دون أن يزعم أنها من ابتكاره، وكان يؤمن بأن الفضل يجب أن يعود إلى من يستحق.

وحتى (الأذان)، النداء الإسلامي للصلاة والذي يجري خمس مرات في اليوم، والذي هو الآن جزء لا يتجزأ من الإسلام، حتى أنه لا بد أن يكون قد تمخض عن وحي إلهي، كان قد نشأ من مناقشات بشرية جداً ومدخلات واسعة النطاق. اقترح البعض بأن يُرفع العلم قبل الصلاة، ولكن عندما

تمت الإشارة بأنه يمكن أن يُحجب بالأشجار أو الأبنية، ولا يمكن رؤيته في الظلام، اقترح آخرون النفخ في البوق كما كان يفعل اليهود، إلا أنه تم الطعن في ذلك على أساس عدم معرفة من يدعوهم للصلاة: اليهود أم المسلمون؟. وكان التحدي نفسه ينطبق على طريقة قرع الأجراس، كما فعل المسيحيون. وأخيراً، اقترحت مجموعة أخرى أن يكون النداء بصوت بشري بدعوة إسلامية محددة، تكون تمجيداً لله وفي نفس الوقت تكون طريقة متميزة عن المجتمعات الدينية الأخرى. قبلت المجموعة الفكرة، ومع ذلك لا تزال هناك حاجة للإتفاق على التفاصيل. أخبر أحد الصحابة وهو «عبد الله بن زيد» أنه حلم بأن شخصاً علمه تعبيراً وترتيلاً لما سيصبح آذاناً معتمداً<sup>(60)</sup>، وأخبر عمر بن الخطاب بأنه رأى نفس الحلم. ووافق الجميع على ذلك. ولأن النبي كان يعتقد أن بلال بن رباح، العبد المحرر، يتمتع بصوت هو الأقوى (ويذكر أحد الأحاديث أن عبد الله كان في الواقع مريضاً في ذلك اليوم<sup>(61)</sup>)، فقد طلب من عبد الله أن يُعلم بلالاً الكلمات، والذي لبراعته أضاف عبارة «الصلاة خيرٌ من النوم» لنداء صلاة الفجر. وبالتالي كان الأذان قراراً جماعياً شاملاً صادق عليه محمد بكل سرور.

وهذا لا يعني أن محمد كان دائماً يُدْعَن للنصيحة. كان يعتقد أنه لا ينبغي استشارة أو الاستماع إلا إلى شخص معروف وجدير بالثقة<sup>(63)</sup>. يجب تجنب «الجاهلين»...، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»<sup>(64)</sup>.

كان أحياناً يستمع للنصيحة إلا أنه كان يتمسك بميوله الأصلية، وخاصة اذا جاءت النصيحة من خارج اجتماع شوري، حيث كان يسمع جميع جوانب القضية قيد المناقشة. فعلى سبيل المثال، في معركة بدر، قدّم أحد الصحابة نصيحة تصحيحية حول الطريقة التي رتب بها محمد محاربيه ليكونوا في صفوف. وقد استخدم صيغة مماثلة «يا رسول الله إن جاءك هذا بالوحي فليكن، وإلا فأعتقد أنه يجب...»<sup>(65)</sup> ومع عدم وجود مجموعة شوري للتعليق على هذه النصيحة، وعدم وجود اجماع للسعي إلى تحقيقها، رفضها الرسول بكل لطف. ومن الجدير بالملاحظة أنه خلق بيئة مفتوحة شعر فيها أصحابه بحرية تقديم النصيحة رغم اعترافهم بأنه نبي مختار من الله.



وأشهر مثال على اتخاذ محمد قراراً كبيراً بعد النصيحة يتعلق بما يُعرف بمعركة الخندق. وكانت قبيلة قريش في مكة قد تحالفت مع قبائل أخرى لتشكيل قوة عسكرية كبيرة تقدمت نحو مدينة محمد «المدينة المنورة» في مارس من عام 627 ميلادي بغرض قتل محمد، أو على الأقل إنهاء نفوذه إلى الأبد. عندما علم محمد بأن قوة قوية ستصل قريباً إلى المدينة المنورة، جمع دائرته المقربة ليطلع على تقييماتها وللإستماع إلى آرائها حول أفضل الطرق للرد. ويقول المؤرخ الواقدي أن هذه كانت ممارسة محمد: «لقد تشاور رسول الله ﷺ معهم كثيراً في مسائل الحرب»<sup>(66)</sup>

لم يكن محمد نفسه يميل إلى قيادة الجيش خارج المدينة لخوض معركة ضارية في وادي أحد، حيث كان قد فعل ذلك بالضبط قبل عام وفشل، بعد أن وافق في ذلك الوقت على الرأي الجماعي لأصدقائه المقربين على تفضيله المعرب عنه بوضوح خلال فترة طويلة من التشاور<sup>(67)</sup>. ولكن هذه المرة دارت مناقشة محتدمة بسبب الخوف من تكرار الفشل.

ثمّ تحدث سلمان الفارسي، وهو فارسيّ اعتنق الإسلام، مشيراً على محمد بأنهم في بلاد فارس كانوا يستجيبون لخطر هجوم الفرسان بالتحصين، أي بحفر خندق بحيث لا تستطيع الخيول القفز من خلاله أو الخروج منه. خندق عبر عنق الوادي المؤدي إلى المدينة المنورة سيمنع العدو من الدخول. لم يُستخدم هذا التكتيك مطلقاً في الجزيرة العربية، ومع ذلك فإن اقتراح سلمان «أدخل السرور على المسلمين» وبالتالي حصل على تأييد محمد<sup>(68)</sup>.

وعندما رأى توافق الأراء، وافق وأمر بحفر خندق سلمان<sup>(69)</sup>. حتى أن محمداً عمل جاهداً في الحفر، مظهراً لأتباعه أنه لن يطلب منهم شيئاً لن يفعله بنفسه. وبدا الخندق عصياً على قوة العدو، والتي كانت ضعيفة من الناحية اللوجستية ولم تستطع مواصلة هجومها في الحر الشديد، وهكذا أنقذ النظام السياسي الإسلامي.

هناك حالة رئيسية واحدة معروفة لمعارضة محمد لرأي مجلس الشورى. حدثت في عام 628 الميلادي عندما قاد محمد ألف وأربعمائة مسلم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة من أجل «أداء العمرة أو الحج «الأصغر». وأرسلت قبيلة قريش في مكة مندوبين لإسداء النصيحة لمحمد، الذي كان يُعسكر في الحديبية خارج مكة، بأنه على الرغم من أن المسلمين كانوا يرتدون ملابس

الحجيج ويحملون القليل من السلاح لغايات الأضاحي أو لردع قطاع الطرق، فإنه لن يُسمح لهم بالمضي قدماً إلى مكة، وبعد المفاوضات، اختار محمد حل المسألة بشكل دبلوماسي بدلاً من الحرب، وأذن بصياغة معاهدة بينه وبين قريش.

وفي كل مرحلة من مراحل عملية التفاوض، تشاور مع مستشاريه، ولكن العديد منهم شعروا بأنه كان يتصرف بشكل ضعيف من خلال وعدهم بعمرة لا يستطيع القيام بها وبأن المعاهدة نفسها لا تليق بالنبي. أخبروه هذا بكل صراحة. حتى عمر بن الخطاب أحد المقربين من محمد والذي أصبح لاحقاً خليفته السياسي، انتقد وبشدة قرار النبي بقبول تسوية تفاوضية، خاصة بعد أن رفض سهيل بن عمرو، وهو رجل الدولة الماهر جداً وممثل عن قريش، بقاء أي ذكر لصفات الله أو أي إشارة إلى أن محمد هو رسول الله في نص المعاهدة<sup>(70)</sup>.

أظهر النبي شجاعة أخلاقية هائلة خالف إجماع مستشاريه، ودخل في معاهدة مع عدوه السابق، واتفق على أن حالة السلام ستظل قائمة لمدة عشر سنوات وأن المسلمين سيؤدون فريضة الحج بعد عام.

ربما تطلب الأمر من محمد الخضوع للتنازل والمعاملة السيئة على المدى القصير، لكنه كان ذكياً بما يكفي ليرى ما لم يستطع مستشاروه رؤيته: أن يبتلع كبرياءه في ذلك اليوم، وأن يتخلى عن هدف الحج قصير المدى في مكة المكرمة، من أجل ضمان أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية على المدى الطويل: اعتراف قريش به على أنه متكافئ في التفاوض (أي أنه لم يعد مجرد متمرد، بل كان قائداً شرعياً لنظام حكم معترف به والذي منح الآن وضع قبيلة كبرى)، عقد من السلام مع عدوه المتعنت؛ والحق بأداء الحج من الآن فصاعداً.

وإن كان محمد قد تأذى بسبب غضب رفاقه المقربين وموقفهم المعارض، فإنه لم يسمح لهذا الألم بأن يضر بالعلاقات لفترة طويلة. بعد أن أكد الوحي القرآني بأن المعاهدة كانت «نصراً واضحاً» من الله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(71)</sup>، وتصالح محمد مع عمر وغيره من المعارضين<sup>(72)</sup>. وحرصاً منه على عدم بقاء أي جروح عاطفية، خصص محمد بعد أشهر

قليلة جزءاً من غنائم الحرب التي أخذت في خيبر لأيي مشارك في المسيرة إلى  
الحديبية ممن لم يكن موجوداً في خيبر.

\*\*\*\*

## القيادة بالقدوة

وحقيقة أن محمد، الذي اعتبره أتباعه نبياً معيناً من الله وزعيماً سياسياً أقرب إلى زعيم قبلي، كان يكدح إلى جانب رفاقه في حفر الخندق الكبير خلال المعركة المذكورة أعلاه، تشهد على إيمانه بالقدوة في القيادة.

ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يعمل فيها جنباً إلى جنب مع أتباعه. فبعد وصوله إلى المدينة المنورة في عام 622 ميلادية، شرع في بناء أول مسجد في المدينة للصلاة الجماعية - مبني من الطوب الطيني وجذوع النخل والسعف مع حجارة كبيرة كإطارات بوابة<sup>(73)</sup> - جزء منه سيكون بمثابة مكان خاص به وبأسرته. ويشير ابن هشام إلى أن محمد نفسه انخرط في البناء، على أمل أن يؤدي ذلك إلى «تشجيع المسلمين على العمل»<sup>(74)</sup>.

ويعلق القرآن على الطبيعة المثالية لقيادته - التي سعى دائماً إلى إظهار الاستعداد للقيام بما يطلبه من الآخرين، مهما كان شاقاً أو مزعجاً، وأنه يعتقد أن أفضل طريقة لتعليم السلوك الأخلاقي هي أن يظل دائماً أخلاقياً بنفسه، بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(75)</sup>

ولم يكتف بإجهاد نفسه بحفر الخندق جنباً إلى جنب مع الكثير من الرجال ممن هم أصغر منه سناً، كان عمره آنذاك 56 عاماً، بل أنه لم يأكل أكثر من أي شخص آخر، وأصبح يتضور جوعاً بعد ثلاثة أيام حتى أنه ربط حجراً بإحكام على معدته لتخفيف آلام الجوع<sup>(76)</sup>. وحاول أن يخفيه، إلا أنه وأثناء المجهود الشاق في محاولة لكسر صخرة، رأى رفاقه الحجر المربوط. شعر أحدهم بالقلق الشديد حتى أنه ذهب وطلب من زوجته أن تُعد وجبة صغيرة لـ محمد. وعندما علم أن الزوجة أعدت ما يكفي له فقط أو لإثنين آخرين، فاجأها النبي وزوجها الذي هتف قائلاً «إننا لله وإننا إليه راجعون» (وهو تعبير يُقال عند نبأ وفاة)، بدعوة جميع من كان يعمل بالحفر للمشاركة في الوجبة<sup>(77)</sup>. ويُسجل التقليد الإسلامي هذه الحادثة بالمعجزة: لأن محمد لم يكن ليأكل دون غيره، كان الجميع متخماً وكان هناك بعض الطعام المتبقي.

وكنبي وقائد للجماعة، كان لمحمد الحق في معاملة خاصة، كأن يأكل بشكل أفضل أثناء الحملات مع رجاله. ومع ذلك فلم يأكل سوى ما أكله محاربوه وعانى الحرمان - الحر الشديد والجوع والعطش والإرهاق وعدم الراحة - بالتساوي معهم<sup>(78)</sup>. فعلى سبيل المثال عندما قاد قوة من أكثر من ثلاثمائة مقاتل بقليل إلى «بدر» في مارس 624 ميلادية، كان بينهم سبعون جملاً فقط. لذلك ركب كل ثلاثة أو أربعة رجال متراصين على جمل<sup>(79)</sup>. لم يطلب محمد أي معاملة استثنائية، على الرغم من أن أحداً لم يكن ليستكثر عليه حق الركوب بمفرده، وقد شارك الجمل مع علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة بشكل غير مريح (بعض المصادر تذكر مرثد بن أبي مرثد الغنوي).

بوضع مثال كهذا كان له تأثير إيجابي كبير. فنحن نعلم على سبيل المثال، أنه عندما خرج النبي إلى تبوك في شمال الجزيرة العربية على رأس نحو ثلاثين ألف جندي وذلك بعد ست سنوات من بدر، كان الجو حاراً جداً وكانت الرحلة طويلة وشاقّة ومسببة للجوع. إن استعداد النبي للمعاناة في الحر الشديد لوحظ من قبل رجاله والمتخلفين عن الركب والمتغيبين. تلكاً عبد الله بن خيثمة السلمي في المدينة بعد أن غادر محمد إلى تبوك. وفي أحد الأيام قامت زوجته بتبريد أكوأخهما برش الماء وبتجهيز الطعام له. حينها شعر بالخجل من أن محمد كان يناضل شمالاً في الحر، صرخ قائلاً: «سبحان الله! رسول الله ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضحّ والريح والحرّ يحمل سلاحه على عنقه وأبو خيثمة في ظلال باردة، وطعام مهياً، وامرأتين حسناوين، ما هذا بالنصف؛ والله لا أدخل عريش واحدة منكما ولا أكلمكما حتى ألحق برسول الله ﷺ»<sup>(80)</sup>. على الرغم من اعتراض زوجاته إلا أنه جثا على جملة وشد سرجه وتعلق به بإحكام وانطلق فوراً خلف محمد. عندما أدرك الجيش أخيراً، كان محمد سعيداً ورحب به دون أي تلميح بالانزعاج من ترده في البداية.

شمل العقد الأخير من حياة محمد صراعاً مسلحاً وبشكل مستمر تقريباً مصحوباً بشبح الموت الدائم. لم يكن محمد يحب القتال، وكان يفضل حل النزاعات من خلال الوساطة والدبلوماسية، لكنه كان مدركاً أن الإكراه والحرب

هما في بعض الأحيان أمران حتميَّان أو ضروريَّان، وأن الخير قد ينبثق حتى من القتال العادل والمنتاسب، فالقرآن نفسه يقول:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.<sup>(81)</sup>

ومرة أخرى، قاد محمد بالقدوة، واضعاً نفسه في نفس خطر الموت الذي طلب من محاربيه مواجهته. على الرغم من إيمانه العميق إلا أنه كان إنساناً وفي بعض الأحيان كان قلقاً للغاية. يذكر الواقدي أنه في معركة بدر، عندما رأى محمد قوة العدو الأقوى بكثير تقترب، أصبح «خائفاً أو مصدوماً» داخل كوخه الذي أقيم على عجل. فرفع يديه وطلب من الله أن يتم وعده<sup>(82)</sup>. لا يذكر ابن هشام الخوف أو الصدمة في روايته، لكنه يُشير إلى أن أبا بكر وهو أقرب الصحابة إلى محمد، أمسك بيده ونصحه بالتوقف عن صلواته القلقة خشية أن يرتفع هذا القلق إلى الله الذي وعده بالنصر<sup>(83)</sup>. الحادثة المذكورة في العديد من الأحاديث، مع إشارة أبي بكر إلى الهدوء في معظمها، على الرغم من أنه لم يُذكر فيها أي صدمة أو خوف مرة أخرى<sup>(84)</sup>. قد يكون هذا لأنه حتى وإن شعر محمد الانسان بالقلق، إلا أنه وعلى الفور ضبط أعصابه وبقوة حثّ محاربيه على القتال بالتقدم وليس التراجع، وعلى يقين أنه وإن سقط أحد فإنه سيدخل الجنة<sup>(85)</sup>.

يكشف ابن هشام كيف أن جنود محمد كانوا ملهمين جداً من وعظه، لدرجة أن أحدهم وهو «عمير بن الحمام» ألقى التمر الذي كان يأكله وأمسك سيفه وألقى بنفسه على العدو، وواحد آخر هو عوف بن الحارث خلع درعه الثقيل وقاتل حتى قُتل. ثم أخذ محمد حفنة من الحصى متحدياً ورمها بشكل رمزي على العدو، وأمر رجاله بالتقدم. وجاء النصر بعد فترة وجيزة<sup>(86)</sup>.

إن إصرار محمد على أن العزم والحزم في مواجهة الخوف هما فقط القادران على تحقيق النصر وهذا موجود في العديد من الأحاديث التي تقتبس منها قوله إن «التولي يوم الزحف» من المعركة أو «الهروب من ساحة القتال» من أسوأ الأعمال البشرية<sup>(87)</sup>. ويحث القرآن المؤمنين على التحلي بالشجاعة والثبات في قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ ﴿١٥﴾  
وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ  
مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(88)</sup>.

والشجاعة ليست بالجرأة، بل هي التغلب على الرغبة البشرية الطبيعية في حفظ الذات وتجاهل الخطر لكي تعمل بإخلاص لصالح الآخرين. لا يستطيع الجميع التغلب على الخوف الذي يستحوذ عليهم أثناء المعركة، ولكن محمد كان يعتقد أن مثاله يمكن أن يقوي شجاعة الخائفين. وخلال معركة أحد نظم هو شخصياً محاربيه في صفوف ومجموعات كان يريد لها، وضعهم بعناية حتى اعتقد أنهم سيثبتون فعاليتهم. ألقى خطاباً حماسياً حضهم فيه على الصمود والشجاعة. ثم قاتل بين جنوده وعرض نفسه للمخاطر لدرجة أنه أصيب في الواقع بقذيفة أصابت وجهه بجروح أفقدته الوعي لبضع دقائق. في إحدى المراحل، كانت قوات العدو تحتشد لقتله، وقام ستة من رفاقه المخلصين بصنع درع بشري لحمايته. ماتوا جميعاً دفاعاً عنه. أبو دجانة الذي استخدم جسده لاعتراض السهام التي أطلقت باتجاهه. أصيب بالعديد من السهام في ظهره لكنه نجا بأعجوبة. استمر النبي في القتال، ودافع عنه محاربون آخرون وهم يهتفون «أرواحنا فداك»<sup>(89)</sup>.

ولا يعني هذا أنه حتى القيادة الأكثر إثارة وشجاعة سوف تمنع الخوف دوماً من التغلب على الناس في المعركة. فالبشر متقلبين ومتناقضين. فعلى سبيل المثال، في معركة حنين في عام 630 ميلادي، والتي انتهت بانتصار كبير وسخي للإسلام، كانت هناك نقطة تحول عندما تأرجحت الأحداث ضد محمد. حيث فاجأت قوة العدو المسلمين وهم يقيمون معسكرهم وأمطروهم بالسهام قبل أن تندفع عليهم سيراً على الأقدام وعلى ظهور الخيل من مواقع خفية، مجبرة الكثيرين على الفرار في زعر واضطراب، حيث الخيول والابل تصطدم ببعضها البعض والصراخ وصيحات الرعب تملأ الأجواء.

تظهر هنا طبيعة محمد، لم يفزع ووقف شامخاً في الرُّكاب على ظهر بغلٍ أبيض في وسط الهرج والمرج، محمياً بشكل وثيق من قبل عشرة من الصحابة الأكثر ولاءً مع مائة آخرين يقاتلون حولهم ببسالة ضد أعدادٍ أكبر

بكثير، لوح محمد بسيفه وصرخ مراراً على جنوده ليتوقفوا ويجتمعوا حوله. ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، الذي كان قد اعتنق الإسلام مؤخراً، كبح جماح بغل محمد الفزع، مهدئاً إياه فيما كانت الفوضى تُحيط به<sup>(90)</sup>. كان لشجاعة محمد ودعوته الأثر المنشود. حيث أعاد القسم الأكبر من جيش المسلمين المذعور تجميع صفوفها وعاد إلى القتال، ليضمن للنبي محمد نصراً كاملاً بعد وقت قصير.

الإخلاص الشخصي الذي استطاع محمد أن يلهمه كان شيئاً حتى أبو سفيان بن حرب (وهو قريب مقرب لـ محمد ولكنه أيضاً خصم قادم العديد من الحملات العسكرية الكبيرة ضده) كان عليه أن يعترف به. في عام 625 الميلادي تم القبض على اثنين من المسلمين وتم بيعهما كعبيدين في مكة، وحكم عليهما بالإعدام انتقاماً لخسائر في معركة بدر<sup>(91)</sup>. وواجه كل من خبيب بن عدي و زيد بن الدثنة خطر إعدامهما بكل شجاعة، حتى بعد علمهما بأنهما سيموتان بشكل مروّع بصلبٍ مؤلم وطعنٍ بالرمح. وقد رفض كلاهما عروضاً باطلاق سراحهما نظير تخليهما عن الإسلام وتكرهما لمحمد.

كانا يُسألان واحداً تلو الآخر فيما اذا كانا يتمنيان لو أن محمد مكانهما، مقابل عودتهما بأمان إلى ديارهم، وكانا يجيبان بأنهما لا يرغبان بذلك. ماتا بشكل مروّع ولم ينددا بقائدهم. ولاحقاً ذكر الأحنف بن شريق أنه لم ير أبداً أباً مخلصاً لابنه كإخلاص رفقاء محمد له. قال أبو سفيان بن حرب والذي اعتنق الإسلام في نهاية المطاف وأصبح مسلماً وقائداً عسكرياً عظيماً: «ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُب أصحاب محمد محمداً»<sup>(92)</sup>.

\*\*\*\*





## التواصل المشترك

مما لا شك فيه أن محمد كان يتمتع بالتواصل المشترك: والقدرة على التواصل وجذب الناس العاديين من جميع مناحي الحياة، وكان هذا الأمر محوريًا في جاذبيته كقائد. أراد الناس اتباعه بسبب الود الذي كانوا يشعرون به معه، كان يعرفون أنه مختلف بالطبع، كان نبياً وقائداً، وبسلوك صالح على نحوٍ دقيق، لكنه لم يتبنى أبداً جو التفوق وبدا من نواحٍ عديدة أنه رجل عادي ذو مصالح عادية، ابتسم وبكى وأحب وكره أشياء كثيرة من نفس الأشياء كأبي شخص آخر.

فعلى سبيل المثال، يُقال أنه أعجب بالمصارعة، وحتى كرجل في سن متقدمة، تمتع بالإثارة التي قد تبدو نشاطاً دنيوياً خالصاً. عندما كان في الخمسين من عمره تقريباً صادف وأن التقى بـ ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أقوى رجل في قبيلة قريش آنذاك<sup>(93)</sup>، ولم يستطع أن يفوت فرصة مشاركة الإسلام مع ركانة، سائلاً إياه لماذا لم يقبل دعوته الدينية بعد، أجاب ركانة أنه قد يقبل إن تيقن من صحة رسالة محمد. وسأل محمد ركانة عما إذا كان سيقبل الرسالة إذا استطاع محمد أن يصارعه ويطرحه أرضاً، وافق ركانة، فقط ليجد نفسه مطروحاً أرضاً من قبل الرجل الذي يكبره سناً، وتحدى محمد بإعادة المحاولة وفعل وصرعه بدهشة. العديد من المسلمين اليوم أقل إماماً بهذه القصة من الحديث الذي أصبح شائعاً والذي يعكس قدرة محمد على استخدام الأشياء اليومية لإيصال الحقائق الأخلاقية والروحية: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(94)</sup>

كما استمتع محمد بسباقات الخيل والابل، وبالتالي نظم السباقات العامة، وأحياناً كان يكافئ الفائزين من ماله الخاص<sup>(95)</sup>. تسابقت الخيول المدربة على مسافة ستة أميال بين الحفياء وثنية الوداع، في حين تسابقت الخيول غير المدربة مسافة ميل واحد بين ثنية الوداع ومسجد بني زريق. قال النبي فيما بعد: «وَكُنْتُ فِيمَنْ أُجْرَى فَوْثَبَ بِي فَرَسِي جِدَارًا»<sup>(96)</sup> والحديث الشريف يصور الجو في سباقات كهذه بسخاء:

«كانت لرسول الله ﷺ ناقةٌ تسمى العضبَاءَ لا تُسبقُ، فجاء أعرابيٌّ على قعودٍ فسبقها فشقَّ على المسلمين، فلمَّا رأى ما في وجوههم قالوا: يا رسول الله سبقت العضبَاءُ قال: إِنَّ حَقًّا على الله أن لا يرتفعَ من الدُّنيا شيءٌ إلَّا وُضِعَهُ»<sup>(97)</sup>.

آمن النبي أيضاً بأن الرماية هي متعة ممتعة ومجزية في آن واحد، وينبغي أن يتعلمها الصبيان، كما تعلمها هو نفسه ومارسها أيضاً خلال حياته:

«ارْمُوا وَارْكَبُوا، فَإِنْ تَرَمُوا خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلَّا ثَلَاثًا: رَمِيَهُ عَنْ قَوْسِهِ، وَتَأْرِيْبَهُ فَرَسَهُ، وَمَلَاعِبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ»<sup>(98)</sup>.

حتى أنه علّم أنه، إن تعلم المرء الرماية ثم سئم منها، فقد رفض أو صار غير شاكراً على ما كان في الواقع نعمة<sup>(99)</sup>.

وبطبيعة الحال، جلب إتقان الرماية فائدة ملموسة. فالجراح التي تسببها السهام تقتل وتعطل المزيد من الناس في معارك العرب أكثر من السيوف والحرب. واستعداداً للقتال كان محمد يحض بقوله: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»<sup>(100)</sup>. وأضاف: «مَنْ عَلِمَ الرَّمِيَّ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا»<sup>(101)</sup>.

ولأن سباقات الخيل والابل وسباقات الرماية كانت من المهارات المفيدة جداً للمحاربين، وبالتالي كانت هناك حاجة إلى إتقانها خلال هذه الحقبة عندما كانت الحملات تجري كل عام، فقد سمح محمد بالمراهنة على مثل هذه الأنشطة (مع بعض القيود على معرفة النتيجة المؤكدة، وما إذا كان من الممكن للمشاركين وغير المشاركين وضع رهانات أو فوائد).

وقد تم حظر ألعاب الحظ والمقامرة على كل شيء آخر، استناداً إلى الوحي القرآني الواضح والذي لا جدال فيه. ومع ذلك، فإن المهارة والتدريب في السباقات ورماية القوس والسهام، بالإضافة إلى الفائدة المجتمعية الهائلة من تعزيز التفوق في هذه الأنشطة القتالية الضرورية، سمح لمحمد بتقديم شيء من الاعفاء. جاء في الحديث: «قال رسول الله ﷺ: لا سَبَقَ إلَّا في خُفٍّ أو في حَافِرٍ أو نَصْلٍ»<sup>(102)</sup>.

كان محمد يعرف بديهياً أن أفضل أمل له في بناء علاقة فعالة بين القائد والأتباع هو خلق مجتمع متكافئ يستفيد فيه الجميع من الازدهار المتزايد لنظامه السياسي، حيث يرون جميعاً أنه بينهم ويسهل الوصول إليه. كان التقارب يعني له الكثير. فكان يلقي التحية على كل من يمر به في الطريق، حتى الأطفال الذين كانوا يلعبون<sup>(103)</sup>، وكان معروفاً بأنه كان يخصص الوقت لأي شخص، بما في ذلك أو ربما على وجه الخصوص للفقراء والعاجزين.

وفي إحدى المرات، تواصلت معه في الطريق امرأة تعاني من مشاكل عقلية وأخبرته بأنها بحاجة إلى شيء منه. ردَّ عليها بلطف قائلاً: «يا أمَّ فلان انظري أيَّ السكك شئتِ حتى أقضي لك حاجتك» فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها<sup>(104)</sup>. وعلى نحوٍ مماثل، عندما بالَ أعرابي في المسجد ذات يوم، مما أثار غضب العديد من المسلمين، إلا أن محمد طلب بعدم منعه أو إيذائه. وبدلاً من ذلك، طلب إبريق ماء وأراقه في المكان الذي بال فيه الرجل، وأوضح لأتباعه أنه بُعث ميسراً وليس مُعسراً<sup>(105)</sup>. ووفقاً لأحد الأحاديث، فقد تحدث بهدوء إلى البدوي الذي يستذكر قائلاً: قام [محمد] وجاء إلي، بأبي وأمي، فلم يؤنب ولم يسب، فقال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن»<sup>(106)</sup>.

من الواضح أن محمد كان يحب الأطفال، وكثيراً ما شوهد وهو يلعب معهم أو يحملهم على كتفيه. وفي أحد الأيام بينما كان يخطب بأتباعه من على المنبر، لاحظ اثنين من أحفاده الصغار، الحسن والحسين يتمايلان ويتعثران، فنزل وأخذ يمسكهما وحملهما إلى المنبر<sup>(107)</sup>. كان مولعاً بشكل خاص بحفيدة واحدة هي أمامة، وفي إحدى المرات خلال صلاة الجماعة، التي كان يؤمها، استمتع باللعب معها:

«بينما نحن في المسجد جلوسٌ خرج علينا رسولُ الله ﷺ يحملُ أمامة بنتِ أبي العاصِ بنِ الرِّبيعِ وأمُّها زينبُ بنتُ رسولِ الله ﷺ وهي صبيئةٌ يحملُها على عاتقه فصلى رسولُ الله ﷺ وهي على عاتقه يضعُها إذا ركع ويعيدها إذا قامَ حتَّى قضى صلاته يفعلُ ذلكَ بها»<sup>(108)</sup>.

حتى أنه لاحظ صبيماً صغيراً، وهو شقيق أنس بن مالك ويكنى بأبي عمير، كان يحب طائراً صغيراً، كان محمد يستفسر عن الطائر في كل مرة كان يرى فيها الصبي<sup>(109)</sup>. وقد رسخت هذه الأعمال في أذهان أتباعه اعتقادهم بأن الإسلام للجميع، حتى للمهمشين ومن هم أقل منزلة، وأن نبيهم يهتم لأمرهم وله بالفعل القدرة على كسب ودهم.

كان محمد يحب البساطة والأخلاق الحميدة، لكنه كان يكره المكر والشكليات والتسلسل الهرمي، أو أن يُعامل بتملق. فلم يكن يحب أن ينحني له الناس، أو أن يقبلوا قدميه أو أن يتملقون له. بعد هجرته إلى المدينة أقام في البداية في منزل أبي أيوب، ونام في الطابق السفلي بينما كان أبو أيوب وزوجته فوقه. ووجدوا أنه من غير اللائق أبداً أن يكون المرء فوق محمد نبي الله، وطلب منه تبادل الأماكن. لكنه رفض بأدب وأخبرهما بأنه يُفضل الطابق السفلي لأن ذلك أسهل للضيوف<sup>(110)</sup>.

وعلى الرغم من اقتراح أصحابه أحياناً بأن يرتدي شيئاً ملوكياً وخاصة عند وصول الوفود إلا أنه كان يرفض ذلك<sup>(111)</sup>، مفضلاً ارتداء الملابس الخشنة التي يرتديها الناس العاديين. عندما كان يتلقى هدايا فاخرة أو حتى غير ضرورية، كان يسارع في توزيعها على رفاقه أو على الفقراء. كان «عادياً» في طريقة لباسه ومتواضعاً جداً في الطريقة التي حمل بها نفسه بين رفاقه لدرجة أنه عندما أتى ذات مرة بدوي يدعى ضمام بن ثعلبة إلى المدينة المنورة ليسأل النبي المعروف بعض الأسئلة، كما يتفحص المسلمين المجتمعين في المسجد ولكنه لم يتمكن من تمييز أي واحد منهم هو محمد<sup>(112)</sup>.

ولعل الأهم من ذلك هو أن مجتمعه استطاع أن يرى أنه لم يُثر نفسه على حسابهم أبداً، بل على العكس عمل جاهداً لرفع مستوى معيشة الجميع والقضاء على الفقر. وقد فعل ذلك من خلال التوزيع الحكيم والحصيف لكل من الصدقات والزكاة، التي كانت ضريبة خيرية إلزامية جمعها ممثلو النظام مقابل أجر لتوزيعها على الفقراء والمحتاجين والمسافرين الذين تقطعت بهم السبل والمدنيين المعسرين بالإضافة إلى استخدامها للمؤلفة قلوبهم ولتحرير العبيد، ولشراء الأسلحة والمعدات الحربية في وقت لم يكن فيه جيش دائم..

لم يخصص محمد أي شيء لنفسه أو لعائلته أبداً، حتى أنه في إحدى المناسبات جعل حفيده الصغير الحسن يبصق إحدى التمور التي أُعطيت كصدقة قائلاً: «أما علمت أننا لا نأكل الصدقة!». (113)

وبصفته نبياً وزعيماً كان يحق له رسمياً وفقاً للعرف العربي الحصول على مصدر دخل أساسي: خمس جميع الدخل المتحقق من الحملات (114). وهذا الرقم أقل من الربع الذي كان يأخذه عادة زعماء عرب آخرون. والقرآن واضح أن هذا الخمس لم يكن لإثراء النبي محمد، بل كان له ولأسرته ليعتاشوا منه، وأيضاً وعلى وجه الخصوص، لتكريس ما رآه الأفضل لمحاربة الفقر والتفاوت:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا  
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (115)

نحن نعلم من الأحاديث ومصادر السيرة، خاصة لابن هشام والواقدي وابن سعد أن محمد كان منصفاً تماماً في الطريقة التي خصص فيها الأربعة أخماس الأخرى من أي مكافآت تولدت عن المعركة، بمنح المشاركين والمتغيبين المعتمدين حصصاً متساوية بغض النظر عن الحالة أو تصور القوة أو الضعف. كما أوضح ذات مرة: «ما أُعطيكم ولا أُمنعكم، إنما أننا قاسمٌ أضع حيثُ أُمرتُ» (116). ونعلم أيضاً أنه لم يأخذ أكثر من حقه، وأنه استخدم الخمس باستمرار للأغراض المذكورة في القرآن، باستثناء وحيد وهو المكافآت العرضية لمرة واحدة للمحاربين مقابل الخدمة المتميزة أو للحث على الولاء من القبائل الأخرى، التي دفعها من الخمس الخاص به (117). وفي بعض الأحيان من الخمس اختار عدم قبول استحقاقه (أي خمس الخمس) (118).

وكثيراً ما كان يستخدم ماله الخاص لخدمة المجتمع بدلاً من انفاقه على نفسه. نعرف، على سبيل المثال، أنه وبعد طرد قبيلة بني النضير من المدينة، مما أسفر عن الاستيلاء على العديد من ممتلكاتهم كحقي حصري له (الطرد لم يأت من خلال المعركة لذلك لم تكن غنائم عادية)، أنفق محمد المال على الخيول والأسلحة للجيش. (119)

كما عاش هو وأسرته ببساطة، فعلى سبيل المثال يأكلون الخبز المصنوع من الشعير المطحون بدلاً من الدقيق الأبيض المكرر، ليخصص الباقي للبرامج الاجتماعية. قبل وفاته بقليل، كان لديه القليل من المال المتبقي حتى أنه وضع درعه الحديدي كرهان مقابل الحصول على الشعير لعائلته<sup>(120)</sup>. وعندما مات، كل ما كان يملكه هو ذلك الدرع، وبغلاته البيضاء، وقطعة أرض في خيبر كان قد حصل عليها كخمس له، لكنه لم يعطها لأولاده، لأنه قال: «إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»<sup>(121)</sup>.

\*\*\*\*

## الرؤية الاستراتيجية

حقيقة أن محمد تجنب مظاهر القوة والراحة ورأى دوره كمستخدَم، لا يعني أنه كان يفتقر إلى الطموح لمجتمعه المتنامي، بل على العكس من ذلك، فأن رؤيته الإستراتيجية، موهبته النادرة المتمثلة في قدرته على رؤية النمو المحتمل للأفكار الدينية التي لم تكن تحظى بشعبية في البداية والتي اعتبرها مهمة، فضلاً عن الإطار الاجتماعي والسياسي الذي سيحتاج إلى إنشائه للحفاظ على تلك الأفكار وحمايتها، هي ميزة قيادية رائعة. كان قادراً على تقريب المستقبل، وكان لديه رؤية تلسكوبية للجزيرة العربية وللعالم. كان بإمكانه أن يرى أشياء بعيدة كما لو كانت قريبة، وكان قادراً على أن يجعلها تبدو مرغوبة وذات مغزى للأخرين لدرجة أنهم أرادوا القيام بالرحلة معه.

حتى عندما بدأ دعوته وواجه معارضة شديدة من المكين التقليديين الذين اتهموه بالمتدع لإدانته عبادة الأصنام التي تكمن في صميم دور مكة كمركز للحج، كان محمد يتمتع بذكاءٍ سياسي منقطع النظير وبصيرة ثاقبة. لقد قلب الاتهام مرة أخرى على المتهمين، بحجة مقنعة هي أن طريقته في فهم وخدمة الله لم تكن بدعة ولا هرطقة، لكنه في الواقع كان يحاول فقط استعادة ما تعرضوا له على مدى أجيال من الخيانة والأذى: الإرث المفقود لإبراهيم وإسماعيل ورسول الله الآخرين. واضعاً المكين في الخلف، جاذباً الشباب والإصلاحيين والأتقياء والمتألمين.

لقد رأينا فيما سبق، في الطريقة التي استغل بها انتكاسة قصيرة الأمد في الحديبية لإيجاد فرصة طويلة الأمد، كيف كان سلوكه استراتيجياً وتطليعياً. وحتى خلال لحظات اليأس القصيرة، فإنه لم يتردد أبداً في اقتناعه التام أن، وبدعم من الله، بوسعه إنشاء مجتمعاً توحيدياً يضم كافة الطوائف، ويعمل فيه «المؤمنون»، حتى لو كانوا من اليهود والمسيحيين إن كانوا متدينين بالقدر الكافي وقبلوا قيادته، ويمكن لهذا المجتمع أن يزدهر في خدمة الله..<sup>(122)</sup> وبغض النظر عن القبيلة أو المكانة أو الثروة، يمكن لأي شخص أن ينتمي لهذا المجتمع وأن يصبح الجميع موضع اهتمام. كانت هذه أشياء مثيرة، تجذب وتلهم المزيد والمزيد من الناس مع انتشار الرسالة.



إن تصور محمد لمثل هذا المجتمع أمر لا جدال فيه. فبعد وقت قصير من هجرته إلى المدينة المنورة عام 622 ميلادي، أسس ما يسميه الكثير من المسلمين الآن بالدستور الجديد للمدينة المنورة «دستور المدينة»، وهو ميثاق أو معاهدة بين محمد وأتباعه - الذين كانوا يعرفون آنذاك بالمهاجرين والأنصار- «المهاجرون» المؤمنون الذين سافروا إلى المدينة المنورة و«الأنصار» المؤمنون الموجودون هناك بالفعل - وسائر قبائل المدينة<sup>(123)</sup>. النص موجود في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام.

ويختلف الباحثون حول ما إذا كانت الأطراف المختلفة قد وقعت بالفعل على نسخ، سواء كان هناك اتفاقية واحدة أو العديد من الاتفاقيات التي جمعت لاحقاً في سجلات لتبدوا وكأنها وحدة متماسكة، أو ما إذا كانت هناك مجرد اتفاقيات شفوية بين القادة. ومع ذلك، فإن قلة من العلماء يجادلون حول الصفة التاريخية للمعاهدة.

اعتقد محمد أن اتفاقه سيكون بمثابة أساس لنظام حكم ديني جديد من شأنه أن يتجاوز البنية القبلية التنافسية القديمة عن طريق ربط مختلف القبائل أو العشائر الإسلامية واليهودية والعربية الأخرى في «مجتمع واحد [أمة] مع استبعاد الآخرين» (انهم أمة واحدة من دون الناس)<sup>(124)</sup>. وجمع كل هذه الكيانات معاً في إطار ما نطلق عليه الآن بالسياسات الداخلية والخارجية، احتوى هذا الاتفاق على تصريحات الوحدة والمساواة، والتوقعات الأخلاقية، بل وحتى تعهد الدفاع المشترك بين الأشخاص الذين لم ينضموا من قبل: المؤمنون الموحدون من مختلف الطوائف الدينية والوثنيين. لم يكن الاتفاق يتحدث عن أي اندماج أو تهجين عقائدي أو طقسي. وأكدت الاتفاقية أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم<sup>(125)</sup>، لكنها أوجدت أيضاً إطاراً شاملاً للتعايش والتسامح ولمعايير السلوك الأخلاقي وحل النزاعات والدعم المتبادل. وحين نضع في اعتبارنا أن محمد كان مؤخراً شخصية مضطهدة ومحل سخرية في مكة، ثم وافداً جديداً إلى المدينة المنورة مع أقل من مائتي تابع بين عدة آلاف من المواطنين الآخرين الذين لا يزالون يتبعون زعمائهم لبعض الوقت، فلا يسعنا إلا أن نستنتج أن رؤيته الإستراتيجية كانت تتسم بقدر هائل من الإبداع والجرأة والتطلع إلى المستقبل.

أدرك محمد أن رؤيته كانت عظيمة. ولم يكن يسعى فقط لإصلاح مكة أو المدينة، وإعادةتهما إلى التقوى والتوحيد الخالص، بل كان يسعى أيضاً إلى إيجاد طريقة يتعايش فيها البشر جميعاً. ليبدأ أولاً بعرب الحجاز- ومن ثم ينشر البشائر والتحذيرات لجميع الناس في كل مكان. كما قال «... وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة»<sup>(126)</sup>

لقد كانت هذه بالفعل رؤية أعظم بكثير مما امتلك عيسى. ادعى عيسى بأنه جاء فقط من أجل خراف إسرائيل الضالة ولم ير أي إمكانية أو قيمة لاكتساب أي قوة دنيوية. جاء محمد برسالة ليس فقط للمكيين أو أهل المدينة، وليس فقط لعدد العرب المتزايد من القبائل الأخرى الذين أقام معهم تحالفات، ولكن إلى جميع البشر، وبعد كل شيء يقول القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(127)</sup>

ومن خلال الاقتناع وقوة الشخصية والجاذبية تمكن محمد من اقناع أعداد متزايدة من الناس بقبول هذه الرؤية العالمية الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية. كان التقدم خلال السنوات الأولى في المدينة بطيئاً ومتعثراً، على الرغم من أن محمد استخدم فهمه العميق للنظام القبلي إلا أنه تجنب أن يعمل كشيخ بنفسه، مما زاد من دوره القيادي ليتجاوز الدور المحدود كوسيط الذي ربما كان أهل المدينة قد توقعوه له في الأصل. بمهارة دبلوماسية بديهية واستثنائية، تفاوض مع شبكة من التحالفات المتزايدة الاتساع بين مجتمعه الإسلامي (وليس المدينة المنورة في حد ذاتها) وبين البلدات والقبائل المجاورة. وكغيره من القادة العرب، شرع أو قبل بعددٍ من التحالفات الذكية والفعالة من خلال أوامر الزواج.

بقيت القبائل اليهودية غير متجاوبة دينياً وشعرت بالنفور من رؤية مشاركتها في هذا المجتمع بنفس الشروط التي وضعها محمد. على الرغم من اعتناق العديد من اليهود للإسلام أو ارتباطهم بصداقات مع محمد والمسلمين، ومع قبول القرى والبلدات اليهودية المتناثرة لسلطته والعيش بدون مضايقات، إلا أن قيادة القبائل اليهودية الرئيسية الثلاث في المدينة أخذت شعوبها إلى أنواع مختلفة من التمرد. وكانت النتيجة أنه وبعد أن أقام محمد قرابة خمس سنوات في المدينة، كان عدد اليهود الذين ما زالوا يعيشون هناك قليل نسبياً ولم يكن أي منهم يعيش في الوحدات القبلية.

ومع ذلك عاش اليهود في أماكن أخرى في الجزيرة العربية، كما عاش المسيحيون، وبحلول عام 630 ميلادي، عندما «فتح» جيش تحالف محمد المؤلف من عشرة آلاف جندي مكة في عملية تحرير غير دموية تقريباً، كانت هناك نسخة شبه كاملة من رؤية محمد الجريئة لمجتمع في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية. عاشت الأقليات اليهودية والمسيحية دون مضايقات مقابل دفع الجزية التي أعفتهم من الخدمة العسكرية ومن دفع ضريبة الزكاة الإلزامية. يجدر هنا التأمل في تحول حظوظ محمد السياسية: ففي العام 622 هاجر هو وحوالي سبعين مسلماً من مكة إلى المدينة المنورة وبعد ثماني سنوات فقط تمكن محمد من قيادة عشرة آلاف جندي في الاتجاه الآخر. لقد كان تغيراً قوياً وملحوظاً.

ويتعين علينا أن نقاوم إغراء عزو هذا النجاح إلى امتلاك محمد لشيء أشبه بالفهم الحديث لما نسميه اليوم «الإستراتيجية»، وخاصة إذا كنا نعني الإستراتيجية السياسية أو الإستراتيجية العسكرية. وسيكون هذا ببساطة مفارقة تاريخية.

واليوم نفهم الاستراتيجية على أنها تعني وضع أهداف معقولة وقابلة للتحويل وعالية المستوى وطويلة الأمد. وهذه هي «الغايات» التي يتركز الجهد من أجلها على أساس «الوسائل» المحسوبة بعناية، والتي هي الناس والموارد المتاحة، وهي الخطوات المتسلسلة التي يلزم اتخاذها لتطبيق الوسائل بالكمية المثلى في المكان والوقت المناسبين.

لم يقدم محمد أي إطار استراتيجي كهذا لأنشطته. لو فعل ذلك، وطبق عليه حكماً عادياً، كان سيدرك على الفور أن هدفه النهائي المنشود، والذي هو خضوع كل البشر للإله الواحد، لن يكون قابلاً للتحقيق في حياته بالوسائل المتاحة له.

من الواضح أنه سعى إلى تحقيق هذا الهدف المنشود. يُسمى القرآن نفسه «تذكرة للإنسانية» «إن هو إلا نذير للعالمين» وكما رأينا أعلاه، ينص على أن محمد إن هو إلا رحمة للعالمين<sup>(128)</sup>. يتحدث القرآن عن اليوم الآخر، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(129)</sup>. في 306 آية مختلفة يخاطب القرآن جميع البشر بشكل مباشر بـ يا أيها الناس .

كان من الطبيعي والمنطقي أن يتوق محمد لهذا الهدف المنشود. وفي النهاية فإن الشرائع ما هي إلا أنظمة معتقدية متماسكة تقوم على القيم الكونية، أي أنها تعتمد على فكرة أن ما في القلوب من أشياء، والتي قد تكون الإيثار أو الحرية أو المساواة أو الأمان أو مزيجاً من هذه الأشياء، مفيد ليس فقط لبعض الناس ولكن لجميع الناس وفي كل مكان. لم يعتقد كارل ماركس أن بعض الناس فقط هم المستفيدون من الشيوعية، بل كان يعتقد بأن الجميع سيستفيد. ولا يعتقد الديموقراطيون أن الديمقراطية مفيدة فقط للناس في بلادهم، بل اعتقدوا بأنها ستكون مفيدة لجميع الناس في كل مكان. وبالمثل، أراد محمد كل الخير لجميع البشر في كل مكان. كان يؤمن أن هذه الأشياء لا يمكن أن توجد إلا إذا خضع الناس للإله الواحد، وعنى هذا في رأيه أن كل الناس في كل مكان يجب أن يخضعوا للإله الواحد.

إن طبيعة المعتقد الديني العميق هي أن الاعتبارات المنطقية حول الغايات والوسائل والطرق غير مهمة نسبياً، ومن المؤكد أنها ضعيفة بالمقارنة مع الاعتقاد بأن قوة الله لا حدود لها وأنه قادر على خلق التغييرات أو تحقيق النتائج التي سيرها الاستراتيجيون غير المتدينين أنها مستحيلة. رأى محمد الله بهذه الطريقة، واعتقد أنه، كنبى الله، يمكنه حتى السعي لتحقيق أهداف استراتيجية قد تبدو سخيفة للآخرين.

وفي النهاية، آمن محمد أن لله خطة شمولية، وأن مسؤوليته الخاصة هي في تحقيقها. وفي الواقع كان يؤمن بما أكده القرآن بأن الله كان أفضل المخططين «والله خير الماكرين»<sup>(130)</sup>. لهذا اعتاد أن يدعو بهذا الدعاء: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّي، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسرّ هُدَايَ إِلَيَّ، وانصرني على مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطوعاً، إليك مُخْبِتاً، أو مُنِيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حَوْبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حُجَّتِي، واهدِ قلبي، وسدّد لساني، واسلّل سَخِيمَةَ قَلْبِي»<sup>(131)</sup>.

وهذا لا يعني أن محمد لم يُخطط بنفسه، من المؤكد أنه فعل ذلك. كما لا يعني أيضاً أنه لم يُفكر في الجوانب العملية للغايات والوسائل والطرق فيما يتعلق بالخطوات المتسلسلة التي يتعين اتخاذها في سعيه إلى تحقيق

أهدافه الكبيرة. وقد أدرك أن الاجراءات تخلق فرصاً، وأنه لتحقيق أقصى استفادة من هذه الفرص لا بد من وجود خطط وموارد. فقد أمر بإجراء تعداد للمسلمين في المدينة المنورة في وقتٍ ما، وهذا دليل على أنه كان يحاول تحديد رأس المال البشري الذي يتعين عليه أن يلعب به<sup>(132)</sup>. كان يحتفظ بقوائم شعبه ويقوم بتحديثها بشكل دوري ليتسنى له معرفة القوة التي يستطيع توظيفها على مشاكل معينة<sup>(133)</sup>. وقد أبقى نفسه على إطلاع على الموارد المالية لمجتمعه، حتى أنه كان يتحقق من حسابات الزكاة مع الجباة عندما كانوا يحضرون له المدفوعات<sup>(134)</sup>. خطط بعناية في كل مرحلة من مراحل نمو نظامه وبموارد متناسبة لما يحتاج إليه للوصول إلى المرحلة التالية. و تكشف المصادر الأولى عن العديد من الحالات التي ابتكر فيها سلسلة من الإجراءات التي من شأنها أن تقدم له ما يريد خطوة بخطوة. فعلى سبيل المثال وخلال العامين الحاسمين 627 و 628 ميلادي واجه خصوماً أو أعداءً إلى شمال المدينة المنورة وإلى جنوبها. كان همه الرئيسي في الشمال الشرقي هو قبيلة غطفان القوية، التي اتحدت بفتور مرة واحدة مع المكيين من قبل فيما أصبح معركة الخندق في 627 الميلادي. في ذلك الوقت انهار التحالف بسبب عدم الالتزام، ورداءة الطقس، وسوء الامدادات والمشاحنات بين غطفان وقريش (بتحريض جزئي ممن دسه محمد داخل التحالف). كان أيضاً في شمال المدينة واحة خيبر اليهودية المحصنة، حيث استقر أفراد من بني النضير بعد أن طردهم محمد من المدينة في 625 ميلادي بتهمة الخيانة خلال معركة أحد. والذين ظلوا بطبيعة الحال معاديين وحاولوا بتعصب حث وإغراء القبائل العربية الأخرى للانضمام إليهم ضد محمد. وقد تمكن النبي من التقليل من احتمال أو تأثير مثل هذه التحالفات من خلال شن غارات على تلك الجماعات، وغالباً ما كان يأخذ ماشيتهم كتحذير لعدم التحالف مع أعداء الإسلام، ومع ذلك، بقي الخطر قائماً. وإلى الجنوب من المدينة كانت مكة، والتي كانت لا تزال ملتزمة بتدمير نظام حكم محمد المتنامي. بالنسبة لـ محمد كان تطهير مكة من عبادة الشرك مطمحاً رئيسياً وكان يهدف إلى إعادة الكعبة إلى الله الواحد.

يجب علينا ألا نقلل من خطورة وضع محمد. ففي أذهان أعدائه ووفقاً لقواعد الحرب القبلية العربية<sup>(135)</sup>، فقد كان الحل الوحيد هو القضاء على مجتمعه. قال زعيم قريش أبو سفيان بن حرب لمحمد في رسالة بعد معركة الخندق واصفاً عزمه على تدمير النظام الإسلامي: «باسمك اللهم، فإنني أحلف باللات والعزى [آلهته الوثنية] لقد سرتُ إليك في جمعنا هذا، وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك»<sup>(136)</sup>. وفي مرحلة ما أقسم أبو سفيان على الامتناع عن إقامة علاقات جنسية إلى أن يهاجم نظام الحكم الإسلامي ويهزمه<sup>(137)</sup>. لم تكن الهزيمة العسكرية هي ما يسعى إليها فقط بل «الإبادة» كما فهم محمد تماماً<sup>(138)</sup>.

وكان مصدر القلق البالغ لدى محمد هو أن تحالفاً جديداً، ربما يضم مكة وخيبر، سيتشكل ضده. وهذه المرة أكبر مما يمكن أن تتحمله قواته. علاوة على ذلك، فإذا أخرج كامل قوته من المدينة للتعامل مع خيبر في الشمال، فقد يقتحم المكيون الشمال ويستولون على المدينة الخالية من الجنوب. وكان يعلم أيضاً أنه لا يستطيع أن يقود جيشاً جنوباً من المدينة إلى مكة، بينما يستطيع أحد الأعداء أو كلاهما في الشمال - غطفان ويهود خيبر الساخطين - الزحف إلى المدينة التي لا تتمتع بالحماية. ولذلك كان عليه أن يُنظم مجموعة من التحركات التي من شأنها أن تُزيل هذه التهديدات نهائياً وعلى نحوٍ حاسم<sup>(139)</sup>.

جاءت هذه الفرصة عندما قاد صفوف الحجاج العزّل نحو مكة لأداء العمرة في أوائل عام 628 ميلادي. غادر المدينة بحراسة جيدة ولم يأخذ معه سوى ألف وأربعمائة رجل فقط. وكما ذكر أعلاه، أوقفت قريش الحجاج في الحديبية شمال مكة. ومع ذلك شعرت قريش بأنها مضطرة لاختيار الدبلوماسية بدلاً من السماح للمسلمين بدخول مكة دون عوائق الأمر الذي يجعلهم يبدون ضعفاء، أو محاربة الحجاج الأمر الذي من شأنه أن يضر بزعمهم بأنهم أوصياء محايدين للحجاج يستقبلون جميع الحجاج ويسكنونهم ويحمونهم. وفي محاولة من قريش لإظهار عزمها ولكن دون التسبب في إراقة الدماء، وافقت على توقيع معاهدة مع محمد تمنعه من دخول مكة تلك السنة، لكنها وعدته بالسلام لمدة عشر سنوات والحق في

أداء فريضة الحج في العام التالي، وقد اعتقدوا بشكل صحيح أن هذا سيؤدي أخيراً غارات المسلمين على القوافل المكية. والأهم من ذلك أن معاهدة الحديبية تضمنت بنداً يبدو أنه مُجدٍ، يسمح لكلا الطرفين بتشكيل تحالفات خاصة بهما دون انتهاك السنوات العشر من السلام المكفولة بينهما.

في حين أن فرض المعاهدة كان في نظر أصحاب محمد وأتباعه على أنه اذلال، إلا أن محمد رأى فيها مصالح استراتيجية هائلة محتملة. فالمعاهدة لم تمنحه رسمياً فقط مكانة متساوية مع قادة مكة، بل أعطته أيضاً حرية التحالف مع القبائل البدوية وغيرها من القبائل، والتي كان بإمكانه إغوائها واحدة تلو الأخرى بعيداً عن التأثير المكي. والأهم من ذلك أن المعاهدة كانت تعني أن بإمكانه الزحف شمالاً ضد خيبر وتدميرها كونها مركزاً للعداء دون أي تهديد بشن هجوم من الجنوب من قبل المكيين.

وهذا ما فعله بالضبط بعد عودته إلى المدينة، تحرك فوراً ضد خيبر في حصار انتصاري وبالتالي أزال وبشكل دائم التهديد الأخطر في الشمال. كانت خيبر قبل سقوطها قد ناشدت غطفان للمساعدة لكن دون جدوى، ووعدهم بنصف محصولها من التمر كدفعة<sup>(140)</sup>. خدع محمد غطفان ليصدقوا بأن مدينتهم تحت تهديد وشيك، لذلك رفضوا الانضمام إلى القتال. عندما علم محمد بعرض خيبر لـ غطفان، فرض هذه النسبة من الانتاج على أنها الجزية المطلوبة له. عندما سمع يهود فدك (وهي واحة مزدهرة تقع شمال شرق خيبر) بهذا الترتيب سارعوا بعمل معاهدة مع محمد ووعدوه بالمبلغ نفسه<sup>(141)</sup>.

بذكاء عاطفي كبير، أعطى محمد غنائم كثيرة أخذت من خيبر إلى أولئك الذين قاموا برحلة الحديبية، بغض النظر عما إذا كانوا قد قاتلوا بالفعل في خيبر<sup>(142)</sup>. كانت هذه طريقته في تهدئة أي قلق متبقي بشكل دائم. كما تزوج على الفور بـ صفية بنت حبي بن الأخطب<sup>(143)</sup>، وهي الابنة الأرملة لحاكم خيبر المقتول (وزعيم بني النضير المطرود من المدينة)، مما جعله وريثاً فعلياً للقيادة السياسية في خيبر<sup>(144)</sup>. يذكرنا زواجه من صفية كعمل من أعمال الدبلوماسية القبلية بزواجه السياسي من جويرية بنت الحارث، ابنة زعيم بنو المصطلق، والتي تزوجها محمد بعد هزيمة قبيلتها في عام 627 ميلادي. والآن وكونه قريب عن طريق الزواج، استطاع محمد أن يحرر

جميع أسرى بني المصطلق من العبودية: مائة عائلة<sup>(145)</sup>. وسرعان ما انضم بنو المصطلق إلى النظام الإسلامي.

كما تطلع محمد استراتيجياً إلى أفضل السبل لإدخال القبائل الجنوبية في نظامه السياسي المتنامي على نحو مستمر. واعترافاً منها بالمكانة الرفيعة التي منحتها معظم القبائل والجماعات للقبيلتين الأكثر استقراراً ونفوذاً، قريش في مكة وثقيف في الطائف، فقد استنتج أنه إذا تمكن من الفوز على هاتين القبيلتين، فإنه سوف يجلب أيضاً الجماعات القبلية التابعة وحلفاء قريش والطائف. وهذ بالضبط ما أنجزه في عام 630 ميلادي. عندما سار نحو مكة دخلت قريش الإسلام فوراً، لتلحقها بفترة وجيزة ثقيف التي رأت أهمية الانضمام إلى ما أصبح وبشكل جليّ العرض الوحيد في المدينة. وباستثناءات قليلة، حذت جميع القبائل التابعة حذوهما في الوقت المناسب. وبالتالي، فإن قدرة محمد على رؤية المستقبل البعيد، وتحديد أولويات الأنشطة وترتيبها لخلق العلاقات السببية والظروف التي ينشدها، وتقدير التكاليف والمنافع بشكلٍ فعّال، ما هو إلا خير شاهد على حنكته السياسية الاستراتيجية الإبداعية والفتنة والبراعماتية.

\*\*\*





## الاتصال الاستراتيجي

يمكن أن يعزى قدر كبير من هذا النجاح الاستراتيجي، الذي استمر حتى وفاة محمد في عام 632 ميلادي، وبالطبع بعد ذلك بتوجيهات خلفائه، إلى قدرته ليس فقط على شرح إرادة الله (لأن أتباعه كانوا ينظرون إليه على أنه الإناء الأخير للبشرية لفيض الوحي الإلهي) ولكن أيضاً إلى قدرته اللافتة للنظر على إيصال رؤيته الاستراتيجية الخاصة واقناع الناس بأنها تعد بمستقبلٍ واعد.

يرى المسلمون أن كلام محمد يأتي من مصدرين متميزين هما: من الوحي الإلهي ومن عقله كمصدر إلهام. وأياً كانت الطريقة التي يختار بها قراء هذا الكتاب رؤية كلماته المنطوقة، المسجلة في كل من القرآن والأحاديث النبوية، لا يسعنا إلا أن نستنتج أنه لا يوجد أي إنسان آخر تقريباً تحدث بتأثير واسع النطاق ومستمر مثله.

وحتى غير المسلمين الذين يرفضون وجهة النظر القائلة بأن الله نفسه أَلَف الكلمات القرآنية التي تحدث بها محمد لا يمكنهم أن ينكروا أن القرآن هو ثاني أكثر الكتب قراءة على نطاق واسع في العالم (الذي لم يسبقه في جمهور القراء سوى الكتاب المقدس المسيحي) وأن الملايين من الناس حفظوه كلمة بكلمة (على عكس الكتاب المقدس) وأن ما يقرب من ملياري شخص يعيشون وفقاً لكلماته.

أما كلمات محمد «الأخرى» (أي تلك التي لا تُعتبر كلمات الله) فهي أقل شهرة بقليل من قبل المسلمين. وعلى الرغم من أنها لا تُعتبر مقدسة (ككتاب مقدس) إلا أن أقوال محمد المسجلة هي أساس الممارسة اليومية لأصول الدين التي يفسرها القرآن. لذا فمن المعقول أن نستنتج أن كلمات محمد الفعلية المنطوقة هي من بين الكلمات الأكثر شهرة واقتداءً في تاريخ البشرية.

وبتعزيز الرسالة القرآنية بسلسلة وبشكل مستمر في الأسلوب والصور، استخدم محمد لوحة غنية من الألفاظ والأمثال والتشبيهات والاستعارات التي كان ينطق بها مراراً وتكراراً ويسهل تعلمها واستذكارها لينقل رؤيته

الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية المتعددة الأوجه من خلال مجموعة صغيرة من الرسائل الرئيسية على نحوٍ مدهش.<sup>(146)</sup> ومن ضمن هذه الرسائل التي يتم التواصل بها باستمرار، وحدانية الله والإلتزام بإرضاء الله من خلال العبادة والسلوك الاخلاقي الدقيق، ومن خلال دعم التماسك الاجتماعي، والكرم المجتمعي لمحاربة الفقر، ومن خلال القيام بأعمال الخير الدائمة للبشر الآخرين الذين يمكن التعايش معهم، ومن خلال القتال الشجاع والحازم لأولئك الذين يختارون العدوان أو يرفضون التعايش. ومثل عيسى، استطاع محمد أن يرسم الصور بالكلمات. وهكذا نتعلم من محمد أن تذكر الله طوال اليوم كما في حديثه لبدوي على نحوٍ مشجع لتحمل جفاف الصحراء «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»<sup>(147)</sup>. ونتعلم أن القائد ليس فقط «راعيًا» كما أشرنا أعلاه، بل أيضاً «درعاً لشعبه» الذي سيستفيد دائماً من هذه الحماية<sup>(148)</sup>. ونتعلم أن الشخص الذي «يقطع الرحم» (العلاقات الأسرية) سوف يحاسب على ذلك<sup>(149)</sup>. وكلمات الغلظة والغبية هي مريرة جداً لدرجة أنها «لو مزجت بماء البحر لمزجته»<sup>(150)</sup>. وعن الجنة قال «الجنة تحت أقدام الأمهات»<sup>(151)</sup> وأنها أيضاً «تحت ظلال السيوف»<sup>(152)</sup>.

وفي جملة واحدة استطاع أن ينقل حقائق عميقة. أخبر الأنصار ذات مرة، بعد أن وصله خبر بأن الجزية قد وصلت من البحرين: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم...»<sup>(153)</sup>. وعلى نحوٍ مماثل، شدد على أمه في أن تُعامل النساء بعدل ولطف، وأوضح بذكاء وجهة نظره هذه:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ «أُمَّكَ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ «ثُمَّ أُمَّكَ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ «ثُمَّ أُمَّكَ». قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ «ثُمَّ أَبُوك».<sup>(154)</sup>

لا شك أن محمد أدرك التأثير الذي يمكن أن تحدثه الكلمة المنطوقة. وعلق في أحد الأحاديث على قوة وبلاغة الكلام. بعد سماعه لزارين من المشرق: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»<sup>(155)</sup>. على الرغم من أنه ربما كان قصد ذلك بشكل مختلف للطريقة التي نستعمل بها كلمات كهذه الآن، فربما كان يصف نفسه بقوله إن من البيان لسحر.

واستخدم حججاً قصيرة وملخصة ومنطقية، معتبراً نفسه مباركاً لأنه تلقى من الله موهبة القدرة على التحدث بإيجاز مع إبقاء المعنى رغم ذلك شاملاً (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ... الخ) <sup>(156)</sup>. ومع ظهور الصدق واليقين على حد سواء اللذين جعلاً من السهل تصديقه والوثوق به، كان خطيباً رائعاً وله حضور كبير وتأثير تحويلي. في خطبه الصغيرة التي تناولت أفكاراً كبيرة حول تأسيس وتنمية مجتمع عادل ومتكافئ بحيث ينتفع الجميع، أقنعهم بأن هناك رؤية واحدة قابلة للتطبيق للجزيرة العربية والعالم: الرؤية التي أعلن عنها بشكل مقنع. لا شك أن قرار محمد بإلقاء خطبة كل يوم جمعة كان في المقام الأول لتعليم ونشر القرآن، لكنه أيضاً منحه منبراً قوياً للوصول لأتباعه بشكل مباشر بأجندته الكبيرة <sup>(157)</sup>. وفي أيام الجمع ألقى خطباً قصيرة وواضحة وصارمة، كانت في الوقت نفسه ذات طابع ديني واجتماعي وثقافي وسياسي، وفي تصوره، كانت حركته الإصلاحية الجديدة شمولية، شملت كل هذه العناصر مع عدم وجود فاصل واضح بينها. من خلال تجميع مقتطفات من الأحاديث يمكننا أن نرى في هذه الخطب الصورة الأكبر التي يتم التأكيد عليها مراراً وتكراراً حتى يفهم الجميع ما كان الله ومحمد يحاولان تحقيقه، وكيف يتكيف الناس مع تلك الخطة كأفراد وكمجتمع، وما كان مطلوباً منهم. وقد خلق هذا فهماً مشتركاً للأفكار الكبيرة، وللأشياء التي جلبت معنى وتماسكاً للأشخاص الذين غالباً ما شعروا بعدم القدرة على فهم المجتمع الفوضوي المربك الذي ولدوا فيه.

ومع ذلك نجد أيضاً في الخطب أموراً عملية هائلة، كالتحذيرات من احتمال القيام بأنشطة مستقبلية معينة <sup>(158)</sup> وتوجيهات حول كيفية إبرام اتفاقيات وعقود عادلة وشفافة مع الآخرين، وكيفية التعامل مع المجاعة أو طلب السقيا من الله، وكيفية التعامل عسكرياً مع أي تهديد (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) <sup>(159)</sup>، وحتى في كيفية التصرف بشكلٍ لائق في الحرب، وتجنب أهوالها كالقسوة والتشويه <sup>(160)</sup>.

تخبرنا الأحاديث أن بعض خطب الجمعة التي ألقاها محمد قد كتبت <sup>(161)</sup>، ربما للأجيال اللاحقة، ولكن أيضاً ليتمكن أولئك الناس الذين يستطيعون

القراءة، والذين كانوا مجرد أقلية صغيرة جداً في المدينة، من سماع كلمات محمد حرفياً. ومن المفترض أن نسخاً مكتوبة أرسلت أيضاً إلى مراكز ومجتمعات إسلامية أخرى في الجزيرة العربية من أجل الاستفادة منها. ونعلم مثلاً أن محمد نفسه قد أمر أن تدون أول خطبة له في مكة بعد فتحها لأبي شاه اليماني، رجلٌ من اليمن ليأخذها معه.<sup>(162)</sup>

ومن خلال قيامه بما نسميه اليوم «الاتصال الاستراتيجي»، فقد كان دوماً حريص على التعبير عن رؤيته الاستراتيجية وتكرارها وتعزيزها لمجتمعه المزدهر، وكان حريصاً أيضاً، ومع انتشار الإسلام وافتتاح مساجد جديدة، أن يفعل الأئمة الذين كان يعينهم الشيء نفسه. ومع علمه أن الدعاة الآخرين سيفشلون في الإقناع إذا ما نُظر إليهم على أنهم عديمو المعرفة أو أنهم ليسوا على اطلاعٍ واسع، لهذا فقد حرص كل الحرص على إرسال رجال تمتعوا بأخلاقٍ صارمة ممن كانوا أساتذة القرآن ويفهمون رؤيته. وكان هدفهم هو نفس هدف محمد: مساعدة المسلمين على فهم العالم المعقد والغامض والصعب في كثير من الأحيان من حولهم، والتحديات التي واجهوها بشكل جماعي، وكيف أنهم سيواجهون كل هذه التحديات معاً بقوة الله وبرحمته. وحرصاً منه على أن يكون له وللخطباء المعينين أكبر جمهور ممكن في الخطب والصلوات المرتبطة بها - التي يعتقد أنها توفر فوائد روحية عميقة وليست مجرد نقل المعلومات - فقد حظر الأنشطة التجارية المنتظمة في ذلك الوقت في أيام الجمعة وفقاً للتعليمات القرآنية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(163)</sup>.

وعلى جانب من ذلك، استخدم محمد أيضاً صلاة الجماعة اليومية وصلاة الجمعة كوسيلة لتقوية التماسك المجتمعي. كان على الجميع الحضور وكان عليهم التجمع في صفوف مترابطة (التحضير المثالي لتعليم الانضباط اللازم أثناء القتال<sup>(164)</sup>)، وكان عليهم الوقوف كتفاً بكتف، الأخوة معاً والأخوات معاً.

كان تصميم المسجد والشعائر والطقوس الدينية في الداخل كلها مصممة للمساعدة في توصيل الحقيقة العميقة وهي: أن الجميع في هذا المجتمع الديني الجديد كان لهم قيمة متساوية في نظر الله، مع عدم تخصيص أي شخص

بمكانة أو امتياز إلا ما تمنحه لهم التقوى أو مخافتهم من الله. لم يتم تخصيص الصف الأمامي أبداً لمن يعتقد أنه أكثر أهمية من حيث الانتماء القبلي أو المركز أو الثروة أو العرق. كان الإسلام مجتمعاً متساوياً. كل من أحب الله ورسوله بما فيه الكفاية للحضور باكراً كان يصلي في الأمام. وبأخذ هذا في الاعتبار، والرغبة في سماع الخطب من قبل أكبر عدد ممكن من الناس، كشف محمد عن بصيرة روحية مدركاً أنها ستصل حتى إلى الأشخاص الأكثر بساطة:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ ...» (165).

لا شك أن محمد لم يعرف أبداً أن أرسطو قد حدد سابقاً ثلاثة عناصر مترابطة للخطاب الفعّال: الروح (ترسيخ مصداقية الرسالة من خلال الثقة في المتحدث)، والعاطفة (جذب مشاعر الجمهور من أجل خلق التعاطف والتواصل) والشعارات (مناشدة العقلانية من خلال المنطق والبرهان من أجل بناء الإيمان). ليس لدينا أي دليل على أن محمد قد وضع نظرية أو صاغ ما فعله كخطيب. ومع ذلك، فقد كان متحدثاً بارعاً شمل بشكل فطري جميع المكونات الثلاث لأرسطو دون أي فن أو عادات نسخ بشكل واع. أدرك بأن الطريقة التي يتحدث بها لا تقل أهمية عن المحتوى الذي يرغب في إيصاله. فعندما كان يتحدث وجهاً لوجه مع أي شخص، كان يولي اهتماماً كبيراً لدرجة أن هذا الشخص كان يشعر أنه / أنها ذات أهمية بالغة. لم يتحدث أبداً على الناس، ولم يقاطع أو كان يتدخل أبداً إذا كانوا يطيلون الحديث أو كان يرغب في إيضاح نقطة معينة، بل كان ينتظر.

كان يتحدث بتأنٍ وباختيار الكلمات البسيطة والواضحة والمؤثرة في محادثاته وخاصة تلك الموجهة للحشود في المساجد أو قبل بدء المعركة. قال ابن سعد بأنه «لم يكن يتحدث بسرعة أو بعجرفة»، ولكن بفترات توقف تسمح للمستمعين بالمواكبة والتذكر لاحقاً (166). كان يتحدث ببطء كافٍ حتى يتمكن الأشخاص البسطاء وغير المتعلمين من متابعته (167). وقد أبقى خطاباته قصيرة، حتى الخطب الدينية، بحيث لا تُرهق أو تستنفذ مدى تركيز المستمعين (168). وقد أوضح ذات مرة أن أي قائد يعينه ينبغي أن لا

يُطيل في خطابه أو في صلواته (بشكل منفر) لأن من مبين الجمهور من هم مرضى وضعفاء ومن لديهم احتياجات<sup>(169)</sup>.

كان يعرف كيف يخاطب العقل والمشاعر، وأحياناً كان بارعاً جداً في مخاطبة المشاعر لدرجة أنه كان يدفع جمهوره للبكاء. يتذكر العرياض بن سارية ذات مرة ويقول: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعَّظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ»<sup>(170)</sup>.

وقد أدرك قيمة تعزيز مواضيعه الرئيسية، مستخدماً أسلوب التكرار للتركيز على النقاط المهمة. ويذكر أنس بن مالك، أنه كلما أراد الرسول أن تُفهم الرسالة بشكل واضح سواء كانت في المسجد أو في ساحة المعركة « كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه..»<sup>(171)</sup>. يوضح أحد الأحاديث أن هذا لم يكن فقط للتصريحات الكبيرة، ولكن أيضاً للمناسبات الوجدانية عندما أراد أن يُشدد على نقطة ما:

جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي بصحبة أولادها، فقال لها النبي: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(172)</sup>.

كثيراً ما كان محمد يستخدم ما يسمى اليوم بـ «الدعوة والاستجابة» في خطبه الموجهة إلى جمهور كبير، كما هو الحال عند إلقاء عظة في المسجد أو الحث على الشجاعة قبل المعركة، وهو تفاعل لفظي بين المتحدث والجمهور يجمعهم بطريقة متقاربة وقوية. والذي يشمل على أن «يدعو» المتحدث الجمهور، عادة بأسئلة من المرجح أن تثير «استجابة» شفهية عاطفية، ويسمى «الرد» من الجمهور. وهو أداة فعالة لسد الفجوة بين المتحدث والجمهور وأصبحت الآن منتشرة في كل مكان في التجمعات السياسية وحفلات موسيقى الروك.

خلال «حجة الوداع» الشهيرة في سنة 631 ميلادي، والتي هي تحفة خطابية، وقف على هضبة صغيرة أمام ما يقارب من مائة ألف حاج، وصاح فيهم<sup>(173)</sup>:

«أي يوم هذا؟»

وفي انسجام تام، رد الحجاج، «يوم النحر!»

وكرر سؤاله مرتين قبل أن يسأل «أي بلد هذا؟»

وفي انسجام تام، ردوا مرة أخرى، «البلد الحرام [أي مكة]!»

وكرر السؤال مرتين قبل أن يسأل: أي شهر هذا؟

وفي انسجام تام أيضاً رد الحجيج، «الشهر الحرام!»

فقال لهم «بلا شك، إن الله تبارك وتعالى قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا».

ثم ألقى النبي خطبته، مُجرباً تعقيدات الرسالة الإسلامية إلى أساسها. وتحدث عن الحاجة إلى المحافظة على الإيمان قوياً بالصلاة وذكر الله وسيادة القانون، والتكافل الاجتماعي وأهمية الأخلاق الحميدة. كانت هذه المواضيع محورية في رسالته على مدار السنوات العشرين الماضية. والآن أعاد التأكيد عليها مرة أخرى بقدر من اليقين والوضوح، مناقشاً كلاً من عقلانية وعواطف جمهوره. وفي الختام، مد يديه إلى السماء، وهتف بصوت عالٍ مراراً وتكراراً «ألا هل بلغت؟» وكانوا يرددون في كل مرة «نعم»<sup>(174)</sup>. وأدرك محمد أيضاً أن الجمهور قد يكون منجذباً تماماً بخطاب الشخص ومقتنعاً بتأكيداته الرئيسية، ولكن إذا غادر الناس دون فهم لما كان من المفترض أن يفعلوه بالأفكار، فإن العرض التقديمي سيكون مخيباً. وهكذا، ولضمان أن الأعمال تتبع الكلمات، وضع دعوات فعالة للعمل في خطاباته، التي عادة ما تكون عند اقتراب انتهاء أو في نهاية الخطبة. وهنا كان يخبر جمهوره بالدور الذي يمكنهم القيام به بعد مغادرتهم. وفي بعض الأحيان كان يعطيهم قضايا ملموسة للتعامل معها، وفي أحيان أخرى كان يُنشئ واجبا أخلاقياً للعمل دون تحديد المتطلبات المحددة. وفي كلتا الحالتين، كان القصد هو جعل الجمهور يتفاعل مع الأهداف التي تم تسليط الضوء عليها.

وربما كان مدركاً أنه قد لا يخاطب مثل هذا الحشد مرة أخرى، واختتم خطبة الوداع بدعوة جادة للعمل، هذه المرة في البداية بتعليمات للامتناع عن فعل شيء ما: «سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ! أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالاً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». ثم أنهى بعملٍ إيجابي، الشيء الذي يجب عليهم فعله الآن: «أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ»<sup>(175)</sup>



من السهل الاعتقاد بأن الميزة الكبيرة التي كان يتمتع بها محمد في التواصل الاستراتيجي هي أنه عندما كان ينقل الوحي القرآني الجديد (أي عندما كانت تأتيه آيات جديدة من خلال الوحي)، لم يسمعها أتباعه على أنها كلمات الرجل بل كلمات الله. لذلك فإن قدرة الرسائل على المطالبة بالطاعة ونقل الحقيقة كانت كبيرة للغاية.

كانت هذه بالضبط الكيفية التي فهم بها العديد من الناس حول محمد الوحي. ولكن هذا الواقع يخفي حقيقة هامة: هي أنه وفي أوقات مختلفة لم يتلق محمد أي وحي إلهي لفترات طويلة (بعد نزول الآيات الأولى، ربما لم يتلق المزيد من الوحي الإلهي لمدة ثلاث سنوات تقريباً) إلا أنه وفي غضون ذلك استمر في التعليم والوعظ والإرشاد والقيادة من خلال موهبته الخاصة في الخطابة.

في الفترة الفاصلة بين الوحي القرآني، كان محمد يتحدث من حدسه وفكره الخاص، مشدداً دائماً على المصلحة العامة على الاحتياجات الفردية، لإيقاظ المترددين وإلهام المغرورين. خلال الفترة الأولى التي جاء فيها الوحي بشكل متقطع، كان مقتصراً على فئة معينة ومجرداً، كان محمد قادراً بموهبته التخديرية بالكلمات على تغيير الناس، ومعظمهم كان من فئة الشباب الذين ينجذبون دائماً إلى كل ما هو جديد وجريء. وقد ساعدته هذه القدرة على إنشاء نواة مخلصه وملتفانية لما يمكن، بعد الهجرة إلى المدينة، أن يتوسع بشكل سريع ليصبح مجتمعاً ملتزماً بنفس الدرجة.

كان مقنعاً جداً في خطابه لدرجة أن زعماء قبيلة قريش في مكة، الذين استاءوا من نفوذه المتزايد ولما اعتبروه إهانة لممارساتهم وإغراء لشبابهم، كان يدور بينهم نقاشاً فيما إذا كان محمد عرفاً أو كاهناً أو ساحراً أو ممسوساً أو شاعراً.<sup>(176)</sup> وبعد مناقشة كل احتمال، خلصوا إلى أن «أقرب ما يكون إلى الحقيقة هو أنه ساحر، اشترى رسالة يفرّق فيها بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته»<sup>(177)</sup>.

في مرحلة ما، جلس «عتبة بن ربيعة»، وهو أحد وجهاء قريش، مع محمد وحاول بلطف أن يتحاور معه، حتى أنه عرض عليه الثروة والقيادة وتوفير الأطباء لتقديم العلاج اللازم لما كان يُعتقد أنه مسّ أصاب محمد.

أصغى محمد إليه بصبر واحترام، ولم يقاطعه أبداً، قبل أن يتلو عليه رسالة قرآنية عن الأمل والتحذير. أصغى عتبة بانتباه وشاهد في زهول محمد وهو يصلي ثم تحدث معه باحترام مرة أخرى. ثم عاد عتبة إلى أصحابه، الذين لاحظوا أن تعابير وجهه لم تكن عادية وسألوه عما حدث. أخبرهم بأنه جلس مع محمد وقال: «أنى قد سمعتُ قولاً واللّه ما سمعت مثله قطُّ، واللّه ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه»، وقالوا: سحرك واللّه يا أبا الوليد بلسانه (178).

ويحتوي القرآن على أصداء لمثل هذه الانتقادات، بما في ذلك قولهم:

« فَكَأَلَّ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » (179)

كما قدم القرآن أيضاً التصحيح:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (180)

ونحن نعلم بأن قوة خطابه كانت مؤثرة جداً لدرجة أن قلّة قليلة من الناس تمكنوا من مقاومة قدرته على الاقناع. بعد معركة حنين، قسّم الغنائم، وأعطى النصيب الأكبر إلى أبي سفيان بن حرب، خصمه السابق والذي اعتنق الإسلام مؤخراً، وإلى مكين آخرين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً. فعل ذلك بحكمةٍ لضمان ولائهم، الذي كان لا يزال هشاً جداً في تلك المرحلة. ومع ذلك فقد أزعج هذا الأمر الأتصار الذين شعروا بأنهم ناضلوا لسنوات من أجل النبي، والآن يتم التغاضي عنهم. حتى أن البعض اعتقد بأن محمد وبعد فتحه ل مكة « مسقط رأسه » سوف يعيش هناك مرة أخرى ولن يعود إلى ميدنتهم « المدينة المنورة »، رغم أنهم قدموا له اللجأ والدعم المتواصل. فهل كان هذا التوزيع غير المتكافئ للغنائم نتيجة المحاباة؟ قالوا فيما بينهم ولقائدهم: إن كان من أمر الله صبرنا، وإن كان من أمر الرسول استعتبناه» (181). ففي نهاية المطاف، كانت هذه هي بيئة الحوار المفتوح الذي تبناه محمد. سمح محمد للناس بالتعبير عن آرائهم فيما يتعلق بأية قرارات صادرة من رؤيته الخاصة وليست من الوحي. فعندما كان قد وصل إلى المدينة قبل ثماني سنوات، قال لجمع من الأنصار:

« نَمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَبِّي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. » (182)

تروي أقدم مصادر السير الذاتية التبادل اللافت للنظر بين النبي والأنصار حول الغنائم التي أخذت في حنين. وتكشف رواياتهم عن حنكة محمد السياسية وإتقانه للغة الاقناع الخطابية. عندما سمع عن استيلاء الأنصار جرّاء حرمانهم من غنائم المعركة، طلب التحدث إلى زعيم الأنصار سعد بن عبادَةَ. (183) وأكد سعد مجدداً وجهة نظر الأنصار بأنه إن كان القرار من الله، فإنهم سيتحلون بالصبر، ولكن إن كان هذا القرار هو قرار محمد، فإنهم يريدون تفسيراً. فسأل محمد سعد عن رأيه في ذلك، فأجاب « يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؟ »

ثم طلب محمد من سعد بأن يجمع المستائين من الأنصار، حيث أراد مخاطبتهم جميعاً بدلاً من الاقتصار على سعد وغيره من القادة. كان يعلم أنه من المهم أن يشعر الجميع بالشمول والتقدير. ثم عبّر عن تعاطفه معهم وبأنه يتفهم غضبهم، ناصحاً إياهم. (184) ثم ناشد عقولهم، موضحاً لهم أن الفوائد الروحية تفوق المكاسب المادية بكثير قائلاً:

« لَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَعُذْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَأَعْدَاءٌ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ ».

قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ وَأَفْضَلُ». ثم سأل لماذا لا يتكلمون أكثر لدعم قضيتهم قائلاً « أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ فَأَجَابُوا، «بِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» ثم تكلم محمد ببراعة نيابة عنهم، واضعاً نفسه مكانهم، ومؤكداً على لطفهم معه، وبذلك أعاد لهم الشعور واليقين بأنه يقدرهم كثيراً:

«وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَاتَمْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدَّقْتُمْ: جِئْنَا طَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ، وَخَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ.».

وبعد إعادة التأكيد على الامتنان العظيم الذي يدين به لهم، نصحهم بعدم الاهتمام كثيراً بالشؤون الدنيوية، وخاصةً بعد أن أصبحوا متصالحين مع الله. ثم، مناشداً عواطفهم، طلب منهم التفكير بسؤال رئيسي واحد: «.... أَقَلَّا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلَى رِحَالِهِمْ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ

النَّاسَ سَلَكَوا شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»<sup>(185)</sup>.  
ثم طلب منهم عدم الشعور بالاحباط، وقال لهم بأنه كلما جاءت ثروات  
البحرين فإنه سوف يبديهم على أهل مكة وسيعطيها لهم. وفي غضون  
ذلك، يجب عليهم التحلي بالصبر، عالمين بأنه سيعود إلى مدينتهم لا إلى مكة،  
وبأنهم سينالون كنوزاً في الجنة تفوق في عددها النجوم. ثم رفع يديه إلى  
السماء ودعى بصوت مرتفع « اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ  
أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ». <sup>(186)</sup>

وعند سماع ذلك، شعر الأنصار بالرضا والتأثر العميق وبكوا حتى  
اخضلت لحاهم وقالوا: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَرَسُولِهِ قَسَمًا <sup>(187)</sup>. حُلَّتِ الْمَسْأَلَةُ  
وتفرقوا، ولم يكن أي من الطرفين يحمل أدنى ضغينة. كانت تحفة  
خطابية، واحدة فقط من العديد المسجلة في المصادر.

\*\*\*\*



## القيادة العسكرية

بالإضافة إلى الحدس السياسي القوي وقدرة وهبة التواصل، كان لدى محمد ما أسماه هو نفسه الفهم السليم «للحكم والاستراتيجية والتكتيكات» العسكرية (الرأي والحرب والمكيدة)<sup>(188)</sup>. من الصعب أن نزعّم أنه في غضون عقد واحد فقط من الزمان، من 622 م إلى 632م، تحول بسرعة من قائد عسكري قليل الثقة ويفتقر إلى الخبرة إلى قائد عسكري ناجح جداً وناجح بشكل روتيني ومتمرس في المعارك وقادر على التعامل بمهارة مع الجيوش المؤلفة من آلاف المحاربين.

تميل الطبيعة القبلية للمجتمع العربي إلى العمل ضد نشأة أي قدرة قتالية واسعة النطاق. فقد عاشت القبائل والعشائر بشكل أساسي على فرضية أن حالة الحرب قائمة بين قبيلة المرء وبين جميع القبائل الأخرى ما لم تكن هناك معاهدة أو اتفاق مع قبيلة أخرى<sup>(189)</sup>. وكثيراً ما توحدت القبائل على وجه خاص للتعامل مع قضايا معينة، ولكن عندما كان الطابع العسكري لهذه التحالفات نادراً ما تكون طويلة الأمد وليست ترتيبات دائمة أبداً، والسبب في ذلك يعود إلى حد ما للقيادة اللامركزية التي يسببها الشيوخ أو قادة من كل قبيلة أو عشيرة واحتفاظهم بالسلطة على شعوبهم. وفي بعض الأحيان، كانت الائتلافات تنحل عندما يشعر أحد أو أكثر من زعماء القبائل أو العشائر بأنه قد تعرض للإهانة من قبل زعيم آخر، أو أن يعتقد أنه هو وشعبه قد حققوا وحصلوا على قدر مقبول من الغنائم أو الرفعة، حتى لو ظل الهدف الرئيسي للتحالف غير منجز.

وإدراكاً منه لهذا، ورغبته في إيجاد وسيلة أكثر فعالية وموثوقية لتحقيق الأمن لأمته الآخذة في التوسع بوتيرة سريعة، ومعرفته بأن وجود قوة متماسكة وقادرة تحت قيادة مركزية (خاصة به) هي وحدها التي يمكنها أن تعمل كأداة التغيير المنشودة، شرع محمد بتحويل الميليشيات القبلية إلى ما أصبح بعد ذلك في ظل قيادة خلفائه جيشاً نظامياً دائماً.

بالتأكيد، بحلول وقت معركة خيبر عام 628، كان محمد قد أعدّ إلى حد كبير الجيش الذي كان يعلم أنه سيحتاج إليه لتحقيق أهدافه الاستراتيجية.

ولم يكن يتألف بعد ممن نسميهم اليوم بالمحترفين، أي من جنود متفرغين تدفع لهم الدولة مقابل أداء تلك المهمة فقط. كان لا يزال من الناحية الفنية جيشاً شعبياً أو جيشاً من المواطنين تم تشكيله من السكان المدنيين لخوض معارك معينة أو للقيام بمهام معينة. ومع ذلك، لم يكن المحاربون يقومون بأي شيء آخر. ومع التيار المستمر من الغارات الصغيرة بين المعارك الكبرى، فإن نفس الأشخاص كانوا منخرطين وبشكل دائم في الشؤون العسكرية، وأصبحوا منضبطين وذوي خبرة بشكل متزايد، لم يعد يُنظر إليهم على أنهم مدنيين أو أفراد قبائل، بل كجيش مسلم - وهو أول جيش غير قبلي على الإطلاق في الجزيرة العربية - ومن الواضح أن محمد وحده كان قائده. عندما هجمت هذه القوة على مدينة خيبر في وقت مبكر من صباح أحد الأيام، صرخ مواطنوها المذعورين: «محمد والجيش»<sup>(190)</sup> كان محمد يكره الحرب ويسعى إلى إيجاد سبل أخرى لحل النزاعات. وقد أدرك أن الحرب لن تكون أخلاقية إلا إذا كان القتال لأسباب عادلة<sup>(191)</sup>. وكان هذا يعني عادة أن سبب الحرب هو الدفاع عن النفس، والاستباق ضد الأعداء الذين كانوا يحشدون القوى ضد النظام الإسلامي، وأمن حدود الجزيرة العربية من القوى الخارجية الكبرى التي قد تخنق نظام الحكم الإسلامي في مهده، وإظهار القوة الهمجية المعدة لإجبار القبائل الأخرى على قبول قيادته السياسية (مع الحد الأدنى من إراقة الدماء أو عدم إراقة دماء).

حتى أن عمليات محمد الاستباقية كانت دفاعية في جوهرها. على سبيل المثال، بعد فترة وجيزة من فتح مكة، شعر محمد بأنه مضطر لبدء عملية هجومية واسعة باتجاه حنين للقاء قوة تحالف كبيرة من قبيلتي هوازن وثقيف، حيث كشفت له فرق الاستطلاع أنهما كانتا تستعدان لمهاجمة مكة<sup>(192)</sup>. وهكذا تضمنت معركة حنين على قيام محمد بمسيرة هجومية ليضرب قبل أن يُضرب.

كما أدرك أنه حتى العمليات الهجومية لا ينبغي أن تنطوي أبداً على الاستهداف المتعمد أو الإيذاء المتهور للأبرياء، وهو ما يقصد به النساء والأطفال والكهنة وغيرهم من الشخصيات الدينية والمسنين والعجزة وعمال

المزارع والبستنة، وحتى ممتلكات العدو ووسائل إنتاجه<sup>(193)</sup>. كانت هذه القواعد مبتكرة وتم تنفيذها بصرامة.

ومع ذلك، فهم محمد أنه وفي حال حدوث الحرب، كان لزاماً عليه أن يخوضها بقوة وتركيزٍ وحزم. ونظراً لأن الإجراءات الدفاعية نادراً ما تُسفر عن نتائج حاسمة، فقد أصرَّ على وجوب توجيه جميع العمليات العسكرية بشكلٍ عدوانيٍّ قدر المستطاع، وذلك من أجل تحقيق حرية العمل والمبادرة واستغلالها والحفاظ عليها. لأنه ومن خلال القيام بذلك فإنَّ الخصم سيضطر دوماً إلى التصدي لأعمال المسلمين بدلاً من أن يكون قادراً على القيام بعملياته الخاصة.

كما أن العمل الهجومي الحاسم من شأنه أن يخلق الخوف لدى العدو، كما يشير القرآن «تُرهبون به عدو الله وعدوكم»<sup>(194)</sup>، وأن يردع وبشكلٍ حازم الأعداء الآخرين الذين قد يرغبون في اتباع أفعالهم: «فَإِذَا تَقَفْنَا فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ»<sup>(195)</sup>.

وقد أدرك محمد بشكلٍ صحيح أن تخويف العدو وحمله على اتخاذ قرار بعدم القتال أو التهديد أو التصرف باستهتار هي الطريقة المثالية لمنع إراقة الدماء من كلا الجانبين. هذا ما وصفه الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت بقوله الشهير بعد 1300 سنة بأنه أساس الحنكة السياسية: «تحدث بنعومة واحمل عصاً كبير وستذهب لمدى بعيد». شعر محمد بالرضا لأنه من خلال الأعمال الهجومية الحازمة، والكثير منها كان يقصد به أن يكون استعراضاً للقوة في ضوء الاصابات، فإن أي أعداء محتملين سيكونون أ عقل من أن يتسببوا بالأذى. وقد ذكر قدرته على إثارة الرعب في الأعداء من مسافة بعيدة « نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر» كإحدى صفاته الفريدة.<sup>(196)</sup> كما وأدرك محمد أيضاً بأنه يتوجب اتخاذ تدابير أمنية معدة بعناية ومزودة بموارد كافية للسماح للجيش أو الكتيبة بحرية العمل الهجومي مع حماية مدينته ومواطنيه من خلال تحديد جميع مواطن الضعف أمام الهجمات العدائية والحد منها. وتذمر بعض القادة ممن تركهم خلفه لحماية المدينة بمن فيهم حبيبه علي بن أبي طالب من أنهم يفضلون كثيراً مرافقته في الحملات، بدلاً من القيام بما اعتبروه ليس أكثر من



«رعاية النساء والرجال والأطفال». (197) غير مقدّرين أهمية هذه المسؤولية الجيلية.

وقد عمل محمد وبلا كلل للحفاظ على الروح المعنوية لقواته، الذين عادة ما كانوا يضطرون للبحث عن الطعام وتحمل الحرارة الشديدة والمشقة. وقد فعل ذلك من خلال انهماكه المستمر والتركيز على الثناء والتشجيع المتكررين. بالخطابة الرائعة، شدد مراراً وتكراراً على نبيل القضية وضورتها، وسلط الضوء علناً على شجاعة الأفراد، وكافأ التميز، وأعطى الأشخاص الناجحين مسؤوليات متزايدة الأهمية. وفي القتال، كان يدعو بالأدعية المهيجة للقوات، مثل «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَعَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فلا شيءَ بَعْدَهُ». (198). كان ذلك معززاً قوياً للمعنويات.

فكيف لهم أن يشكوا أو أن يخافوا أو أن يخسروا إذا كان الله يدعمهم؟ وقد أثنى القرآن نفسه على أولئك الذين اختاروا الخدمة، معترفاً بأنهم يتفوقون على أولئك الذين تهربوا من الخدمة كما وأنهم يستحقون كل مكافأة مادية وروحية (199). وبطبيعة الحال، كان هناك بعض المتهربين، الذين وصفهم القرآن بأنهم مرضى القلوب، وغير راغبين بالرحلات الطويلة ومضايقاتها، وحريصين على البقاء في منازلهم مع زوجاتهم، ومترددون في المساهمة مالياً على الرغم من ثرواتهم، وحتى أنهم جنباء وخائفون من الهزيمة (200).

وباستثناء هؤلاء الأشخاص، والذين كانوا قلّة في الواقع وقد غفر لهم لاحقاً بعدما تم تجنبهم لفترة وجيزة، لم يواجه محمد مشكلة في الحصول على متطوعين للخدمة. وتحدث الأحاديث عن متطوعين كثيرين أدرجت أسماءهم في سجلات عسكرية خاصة (201). كما وتظهر أيضاً أنه وفي بعض الأحيان تطوع الكثير من الأشخاص لدرجة أن أسماءهم تجاوزت القدرة على إدراجها في السجلات. (202)

كان مفهوم الوحدة في قلب القيادة العسكرية لـ محمد. حتى عندما كان يرسل كتائب من القوات ولم يكن قادراً على الذهاب بنفسه، كان يعين قائداً واحداً فقط. وقد فعل ذلك حتى لو كانت الكتيبة مكونة من أفراد من قبائل أو عشائر أو أشخاص مختلفين، وكانوا جميعاً يطيعون ذلك القائد على قدم المساواة، حتى لو كانوا ينتمون إلى قبائل تختلف في المكانة

أو السمعة، وأياً كانت المجموعة التي ينتمي إليها القائد نفسه. فالانقسام والعصيان على أساس القبلية أمر غير مقبول:

قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَدْعُو إِلَى عَصِيَّةٍ أَوْ يَغْضِبُ لِعَصِيَّةٍ فُقُتِلَ فَقِتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ»<sup>(203)</sup>.

ولم يعد المحاربون المرسلون في المهمات يعطون الولاء على أساس القبلية، فقد أصبحوا الآن «مؤمنين» و «إخوة» متحدين على طاعة قائد واحد. ونرى إشارة إلى هذا المفهوم في إيفاد محمد لـ عبد الله بن جحش كرئيس لسرية نخلة في يناير 624 م. ويدون الواقدي بأن عبد الله كان يلقب بـ «أمير المؤمنين» خلال تلك الغارة<sup>(204)</sup>. ولا ينبغي لنا أن نفرط في قراءة هذه العبارة، فلم تكن لقباً أو رتبة رسمية تستحق الوقوف عليها، كما أصبحت لاحقاً عندما اختارها خلفاء محمد السياسيين، إلا أنها تدل على حقيقة أن الغارات كانت بقيادة أشخاص أعطوا المسؤولية عن عصبية متماسكة وموحدة من الرجال لا تحدها القبيلة ولكن الإيمان.

ويمكن رؤية إصرار محمد الصارم على وحدة القيادة بوضوح في معركة ذات السلاسل، والتي كانت رحلة استغرقت عشرة أيام شمال المدينة المنورة. أرسل بها عمرو بن العاص مع كتيبة من القوات، على أمل أن يتمكن عمرو من حشد الدعم المحلي للحملة القادمة إلى سوريا. وفي منطقة العدو، خاف عمرو وأرسل إلى محمد للحصول على تعزيزات. حيث أرسل محمد لأبي عبيدة بن الجراح بقوات إضافية وتعليمات واضحة جداً: ” لا تختلفا“<sup>(205)</sup>. عندما وصل أبو عبيدة إلى موقع عمرو، أصر الأخير على بقائه في السلطة. في حين رفض أبو عبيدة الانجرار إلى خلاف، وقال لعمرو إن النبي كان قد أصر على ألا يتشاجروا حول الأمر، وانصاع بتواضع إلى عمرو قائلاً: «إنك إن عصيتني أطعتك». قال عمرو متبجحاً: «إذن أنا قائدك وأنت فقط مدد لي». كان الامتثال للنبي أكثر أهمية من الاستسلام للذات، لذلك اكتفى أبو عبيدة بالقول: «فدونك»<sup>(206)</sup>.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنه كلما قام محمد بإرسال غارة، كان يجتمع شخصياً مع قائدها للصلاة من أجل سلامة المجموعة، ولشرح أهداف المهمة، وللتعبير عن ثقته به. ولا بد أن هذا كان تمكيناً كبيراً. كما ونعلم

أيضاً بأنه كان سيشرح السلوك الأخلاقي الذي يتوقعه (على سبيل المثال، عدم إيذاء النساء والأولاد والمسنين، وعدم التمثيل بالقتل)، وسيشرح له أيضاً بأن يكون «جيداً» للأشخاص الذين هم تحت سلطته<sup>(207)</sup>.

كان محمد يوضح وقبل إرسال أي قوة في حملة، وكان من المحتمل أن تسفر تلك الحملة عن سقوط ضحايا، من هو الرجل الثاني المعين رسمياً في القيادة، لأنه لم يرغب في حدوث مشاجرات بين القبائل أو شكوك حول القيادة إذا توفي قائد معين في المعركة. حتى أنه وفي بعض الحالات عين القائد الثالث في حال سقوط الأولين. نرى هذا جلياً قبل معركة مؤتة، عندما عين محمد ابنه الحبيب بالتبني زيد بن حارثة قائداً، ولكن «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ»<sup>(208)</sup>. وحدث أن استشهد الثلاثة في المعركة، مما دفع خالد بن الوليد إلى تولي القيادة من تلقاء نفسه. وقد قبل الجيش قيادته وهو يمتلك حضوراً كبيراً وقدرة خارقة، وسجلاً حافلاً بالنجاح كحارب.

كان القتال في الغزوات والمعارك ينطوي على مسؤوليات جسيمة ليس فقط للقيادة، ولكن أيضاً للمحاربين. فقد كان محمد واضحاً بأن الجيش الإسلامي الجديد الذي كان يُنشئه لن يحتوي على العصيان، أو السعي لتحقيق مكاسب شخصية أو رفعة (وهو ما يتحقق غالباً في الثقافة العربية من خلال التباهي بالبسالة المتهورة على حساب الصالح العام) ولن يحدث أي سوء تصرف مطلقاً. كما قال: «الْغَزْوُ غَزْوَانٍ فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَأْسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفُسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخَرًّا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»<sup>(209)</sup>.

فالفساد، الذي غالباً ما يُترجم ببراءة وبطريقة خرقاء على أنه «أذى» أو «إنحراف»، يُشير في الواقع إلى أعمال خطيرة من القتل غير المشروع أو العنف أو الفجور أو العصيان. وقد تم إدراجه في القرآن على أنه خطيئة كبيرة إلى جانب القتل<sup>(210)</sup>. ومن حيث سلوك المحارب، كان يعني قتل الأبرياء أو انتهاك حقوقهم، وعدم إظهار الرحمة عندما يستوجب إظهارها، والتعذيب والتشويه والسرقة من الغنيمة، أو التصرف بطرق تمزق التماسك والزمالة.

من الواضح أنّ محمداً لا يمكن أن يدعو القبائل والشعوب الأخرى لخدمة الله والعيش وفقاً لقواعد أخلاقية صارمة إذا كانت تصرفات جيشه تمثل مجموعة مختلفة من القيم، حتى تلك التي كانت تُشاهد عادة في الجيوش العربية في ذلك الوقت، فجيشه يجب أن يكون مختلفاً.

هذا لا يعني أن محمداً رأى أنّ استخدام القوة يفتقر إلى الفن أو المكر، بل على العكس من ذلك، فقد كانت رغبته في الحد من المخاطر والاصابات من خلال التغلب على أعدائه بذكاء أمراً محورياً في قيادته العسكرية. كان يمتلك شعوراً غريباً بما نسميه اليوم بخدع الحرب.

يذكر القرآن نفسه مثل هذه الخدع بما في ذلك، على سبيل المثال، التراجع المزيف<sup>(211)</sup>. وبالمثل يقتبس حديثاً عن محمد في قوله: «الحرب خدعة». الحديث صحيحٌ ومؤكّدٌ وموثوقٌ به. ويُمكن العثور عليه في خمسة من مجموعات الحديث السننية الرئيسية الستة: صحيح البخاري<sup>(212)</sup>، صحيح مسلم<sup>(213)</sup>، سنن ابن ماجه<sup>(214)</sup>، سنن أبي داود<sup>(215)</sup> وجامع الترمذي<sup>(216)</sup> على غرار القادة العسكريين المتفوقين آنذاك والآن، استخدم محمد الخداع كسمة طبيعية لقيادته العسكرية، ويشير الواقدي إلى أنّ «رسول الله لم يقيم بعمل عسكري (غزوة) دون التظاهر بأنه لم يكن يغزو»<sup>(217)</sup> أبقى على الاستعدادات منفصلة، وغالباً ما أبلغ القادة عن الوجهات المقصودة عبر رسائل لم تُفتح إلا بعد انطلاقهم (218)، كان يرسل محاربيه بشكل روتيني للاختباء نهاراً والسفر ليلاً<sup>(192)</sup>، وكان يطلب منهم السفر عبر طرق غير متوقعة أو غير مطروقة<sup>(220)</sup>، ونصب الكمائن في مناسبات متكررة، لا سيما خلال الغارات الصغيرة السابقة ضد القوافل التجارية التي كانت تسافر شمالاً وجنوباً عبر المدينة المنورة.

كانت الإغارة، وهي نوع من الصيد غير المشروع، نشاطاً راسخاً منخفض المخاطر وقليل الخسائر البشرية شائعاً في المجتمع العربي، وكان مرتبطاً بطقوس بلوغ سن الرشد والمعتقدات المنتشرة حول السمات الأساسية للرجولة: الجرأة والشجاعة والهمة. وينبغي أن يُنظر إلى الإغارة على أنها أقرب للرياضة من النشاط المرعب الذي نسميه اليوم الحرب<sup>(221)</sup>. وفي جوهرها كان «المكر» وليس القسوة، ولها «قواعد» عامّة مفهومة التزم بها المشاركون، مثل عدم قتل غير المقاتلين.

إن فهم محمد البديهي للحيلة واضحاً لا لبس فيه. على سبيل المثال، مباشرة وبعد هزيمة المسلمين في معركة أحد، لام الرسول محارباً يدعى سعد بن أبي وقاص على هتافه بفرحته بانسحاب قريش إلى مكة بدلاً من مدهمتها المدينة المنورة، ولعلمه بأن هذه الفرحة سوف تجعل المسلمين يبدون مرتاحين، وبالتالي ضعفاء في نظر منتقديهم، فقال لـ سعد: «اخفض صوتك. إن الحرب لخدعة، فلا تُري الناس مثل هَذَا الفرح بانصرافهم...»<sup>(222)</sup> وبرغم الهزيمة، خرج محمد في اليوم التالي مع محاربيه المنهكين والمضطهدين ولكن المخلصين - والعديد منهم كانوا جرحى - فيما بدى في ظاهر الأمر أنه مطاردة لقريش المنتصرة. وقد فعل ذلك لإعطاء قريش انطباعاً خاطئاً بأن جيش المسلمين كان سليماً وأنه يتمتع بروح معنوية عالية حتى لا تفكر قريش في العودة لمهاجمة المدينة المنورة<sup>(223)</sup>. ومن أجل أن يعزز حيلته، طلب محمد من رجاله بجمع الحطب في النهار وإشعال عدد كبير من الحرائق ليلاً<sup>(224)</sup>. كما طلب من معبد بن أبي معبد الخزاعي، وهو بدوي كان متحالفاً مع محمد سراً، أن يذهب إلى معسكر العدو بقصة أن محمد قد خرج في أصحابه يتحرقون عليكم تحرق بجيش «وأنه لم ير مثله قط»<sup>(255)</sup>. وكان لهذا الأثر المرجو، حيث قاد أبو سفيان المتوتر جيشه عائداً إلى مكة مباشرة.

عندما سار جيش قوي قوامه حوالي عشرة آلاف من محاربي قريش وحلفائها إلى المدينة المنورة عام 627 م، فيما عُرف باسم معركة الخندق، بدأوا حصاراً طويلاً. بعد حوالي سبعة وعشرين يوماً، أرسل محمد نعيم بن مسعود، وكان حديث العهد بالإسلام، كجاسوس إلى معسكر العدو لإعطاء مشورة خاطئة ولزرع الفتنة بين القبائل المعادية. استمعت قريش لمعلوماته المضللة غير مدركة أن نعيم قد اعتنق الإسلام. بعد أن تعبت قريش واجهدتها الأحوال الجوية السيئة، وصدقت قصص نعيم، فقدت عزيمتها في نهاية المطاف وانسحبت، ورُفع الحصار عن المدينة المنورة. أما فيما يتعلق بهذه المعلومات المضللة، قال محمد لصاحبة المقرب عمر بن الخطاب أن الحيلة كانت فكرته هو وليست وحياً من الله، وأنها خطرت له لأن «الحرب خدعة»<sup>(226)</sup>.

ومن المثير للاهتمام أنه وأثناء تلك المعركة، أرسل محمد أحد أصدقائه وهو حذيفة بن اليمان ليتسلل إلى معسكر العدو للحصول على معلومات. لم يتم اكتشاف حذيفة، حتى أنه جلس بمقربة من نار المخيم مع قادة العدو، وجلس بالقرب من القائد أبو سفيان بن حرب لسماعه يحذر قومه صراحة من احتمال خداع أو تجسس المسلمين عليهم وطلب من الجميع التحقق ممن يجلسون بجانبهم<sup>(227)</sup>.

وفي وقت لاحق من ذلك العام، وأثناء الحملة على بني لحيان، أمر محمد جيوشة شمالاً باتجاه سوريا لإعطاء بني لحيان انطباعاً بأنهم آمنون في الجنوب<sup>(228)</sup>. ثم عاد جيش محمد وهاجم العدو من الخلف، مهدداً القبيلة في معسكراتها. وكما حدث لم تنجح حيلة محمد هذه المرة وتمكّن بنو لحيان من الفرار إلى التلال.

وبعد ستة أشهر وعندما أراد محمد أداء فريضة الحج الأصغر إلى مكة مع أتباعه العُزّل، كان ردّه عندما علم أن قريش ستُغلق الطريق المحتمل إلى مكة من خلال قيادة أتباعه عبر ممر جبلي ضيق بدلاً من ذلك<sup>(229)</sup>.

وبالمثل عندما كان يخطط لحملة ضد مثيري الشغب في خيبر في مايو 628 م، ومرة أخرى أبقى محمد الوجهة سرية، قلقاً من أنه إذا كشف عنها، فقد تنضم قبيلة غطفان المتحالفة مع خيبر إلى المعركة وتوفر قوة ساحقة، كما تقدم على طول بعض الطرق التي من شأنها أن تضمن عدم تمكن غطفان من الانضمام إلى خيبر حتى لو سمعوا بتحركه<sup>(230)</sup>. وبالحفاظ على السرية، تمكن من القبض على أهل خيبر على حين غرة. ويروي الواقدي أنه عندما فتح أهل خيبر حصونهم فجراً حاملين معهم أدوات الزراعة للعمل «رأوا أن رسول الله قد حل بساحتهم. وصاحوا «محمد والخميس» فولوا هاربين حتى رجعوا إلى حصونهم»<sup>(231)</sup>.

عند التخطيط لفتح مكة في يناير 630 م، أخفى عن مستشاريه المقربين بشأن نواياه حتى اللحظة الأخيرة منعاً لأي تسربٍ عرضي للمعلومات<sup>(232)</sup>.

متوسلاً إلى الله بأن تنجح حيلته العسكرية بدعاء يلخص تماماً معنى قوله: «الحرب خدعة»: «اللَّهُمَّ خُذْ عَلَيَّ قُرَيْشَ الْأَخْبَارَ وَالْعُيُونَ حَتَّى نَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً»<sup>(233)</sup>. وفي رواية مماثلة قال: «اللَّهُمَّ خُذْ عَلَيَّ قُرَيْشَ أَبْصَارَهُمْ فَلَا يَرَوْنِي إِلَّا بَغْتَةً، وَلَا يَسْمَعُونَ بِي إِلَّا فَجْأَةً»<sup>(234)</sup>. وكما حدث، «لم تصل أي كلمة عن مسيرة النبي إلى قريش»<sup>(235)</sup>.

وفي نفس الحملة، استخدم محمد أيضاً وبذكاءٍ حيلة تكتيكية لإكتساب ميزة التأثير النفسي. وعندما حلّ الظلام على الطريق الذي كانوا يسلكونه، أمر كل واحد من محاربيه العشرة آلاف بإشعال النار في المعسكر، معطياً بالتالي انطباعاً بأن قوته كانت أكبر بكثير مما كانت عليه في الواقع.<sup>(236)</sup> وبالتالي، ورغم أن هذا غيض من فيض للأمتلة المسجلة على استخدام محمد للخداع العسكري، فمن الواضح أنه نشرها بطريقة يمكن لأي باحث موضوعي أو ممارس للحرب أن يدرك ويعترف بأنها قيادة إبداعية وحكيمة وفعالة للغاية.

وإذا كان أي قارئٍ يعتقد بأن محمد ربما استمتع في الواقع بالحرب من خلال القيادة الحكيمة للعمليات بمثل هذه الطريقة الذكية، أو من خلال رؤيتها على أنها لعبة ذكية وماهرة ليتقنها، أو بأنها كان عرضية حول الموت، فمن الجدير بالذكر أنه كان يكره الحرب بشدة، وكما ذكر آنفاً، فقد وضع قواعد صارمة بشأن حماية الأبرياء. يمكننا أن نرى بعض هذه القواعد في تعليماته للجيش الذي أرسله إلى مؤتة في عام 629 م:

”أَغْرُزُوا بِسْمِ اللَّهِ، فَقاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالنَّشَامِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا رِجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَعْرِضُوا لَهُمْ، وَسَتَجِدُونَ آخِرِينَ لِلشَّيْطَانِ، فِي رُءُوسِهِمْ مَفَاحِصَ فَأَقْلَعُوها بِالسَّيُوفِ، وَلَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَغِيرًا مُرْضِعًا وَلَا كَبِيرًا فَايْنًا، لَا تَغْرِقَنَّ نَخْلًا وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا“<sup>(237)</sup>

وهكذا وبالإضافة إلى الأبرياء حتى البنية التحتية ووسائل الإنتاج كان يجب أن تُترك وشأنها. استخدامه لكلمة («مسكن» أو «بيت») يوضح أنه كان يقصد ترك البيوت العائلية دون مساس. ونعرف أيضاً كيف شعر حيال الحاجة إلى حماية الأبنية الدينية. يدين القرآن الشر الكامن في تدمير المباني الدينية بما في ذلك المعابد اليهودية في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(238)</sup>

عندما محاولة تلخيص قدرة محمد على استخدام القوة العسكرية، يجب الاعتراف بأنه من الصعب مقارنة مهاراته بمهارات قادة التاريخ الاسطوريين مثل الإسكندر، وحنبلع أو هانيبال، وجنكيز خان وتيمور ونابليون ونيلسون ولي وروميل وياتون. كانت الحرب جزءاً من حياته بقدر ما كانت جزءاً من

حياة هؤلاء القادة. ومع ذلك، فإن حرب محمد لم تكن تشبه في نطاقها أو طبيعتها أو غرضها تلك الأعمال الدموية التي قام بها هؤلاء المحاربون المشهورون.

وقد شن محمد ما يقرب ثمانين «غارة» - حوالي ثمانين غارات في السنة على مدى عقد من الزمن، قاد منها 27 بنفسه<sup>(239)</sup>، مما قد يبدو عدوانياً وعنيفاً بشكل فظيع، إلا أن تلك الغارات لم تشمل دائماً الاحتكاك مع العدو ونادراً ما تسببت في وقوع إصابات، ناهيك عن الوفيات. وكان العديد منها مجرد استعراض للقوة بهدف إظهار القوة المتنامية لمجتمعه، ولمواصلة الضغط المستمر على الجماعات التي ربما تكون قد تحالفت مع أعدائه، أو للإستيلاء على قطعان الماشية وفقاً للأعراف الاجتماعية السائدة، وبطبيعة الحال لنشر الإسلام إلى أولئك الذين لم يسمعوا عن الرسالة بعد.

وحتى «المعارك» كانت أقل مأساوية بكثير مما بدت عليه في مستهل الأمر. يخبرنا ابن هشام والواقدي بأنه، إذا استثنينا الحصارات الدفاعية والهجومية، والتي وفي جميع الأحوال لم يُقتل بها أحد تقريباً، فقد كان هناك في الواقع أربع معارك ضارية فقط، أي معارك الاحتكاك التي استخدم فيها كلا الجانبين العنف المدبر والمناورة بشكل كبير في ساحة المعركة. ربما كانت عواقبها الاجتماعية والسياسية هائلة، إلا أنها كانت شبه خالية من الموت. ففي بدر كانت خسارة المسلمين أربعة عشر قتيلاً، وفي أحد سبعون قتيلاً، وفي مؤتة ثلاثة عشر قتيلاً (من قوة قوامها ثلاثة آلاف)، وفي حنين (حيث قاد محمد قوة قوامها اثني عشر ألف مقاتل) كان حصيلة القتلى أربعة فقط.<sup>(240)</sup> وفي الحصار الأكثر دموية الذي نفذه المسلمون، وهو الهجوم على خيبر، أسفر عن مقتل خمسة عشر مسلماً<sup>(241)</sup>.

وحتى معركة الخندق الشهيرة، والتي يعرف معظم المسلمين جوانبها الأساسية إلى يومنا هذا، أسفرت عن ستة قتلى فقط من مسلمين<sup>(242)</sup>. ولم تكن الخسائر التي أحدثوها أكبر بكثير. وفي الواقع أننا إذا جمعنا عدد الضحايا من كلا الجانبين في المواجهات التسع الرئيسية التي امتدت على مدى عقد من الصراع، فلن يتسنى لنا إلا أن نحصي مقتل 138 قتيل من المسلمين والحلفاء و216 قتيل من المعارضين.



ولذلك يجب علينا الامتناع عن النظر إلى محمد على أنه زعيمٌ عنيفٌ أو أمير حرب. وعلى الأرجح أنه كان منخرطاً في الحرب مثل أي شيخ قبلي في تلك الفترة، وعلى الرغم من الإشارات المتكررة والدرامية للحرب التي تظهر في القرآن والأحاديث النبوية، إلا أنه سيكون من الخطأ أن نرى هذا النشاط من خلال العدسة الحديثة. وبدلاً من ترك ساحات القتال مليئة بالقتلى المجهولين، كما هو شائع الآن في الحرب، لم يكن هناك سوى عدد قليل جداً من الضحايا في صراعت محمد حتى أن كل واحد من منهم تم تسميته في المصادر.

إن مركزية هذه الأنشطة العسكرية في قصص الأصل الإسلامي تدين بالكثير للطريقة التي تُبرز بها التقاليد الشفهية التي تنتقل من جيل إلى جيل كالأعمال البطولية والصفات النبيلة، والتي تُعد مثالية لما لها من مفعول سحريٍّ ومثير في القصص المروية حول نيران المعسكرات. وهكذا أصبح محمد البطل المثالي، تماماً مثل ما كان أجامنون وأخيل وأوديسيوس في اليونان الكلاسيكية.

وإذا كان المرء يتساءل عن مدى براعته في هذا النشاط غير الدموي والذي كان يتعلق أكثر بكثير في إظهار الثقة والقوة ونوع من السلطة الرئيسية من مجرد إلحاقٍ بالموت أو التسبب بالدمار، يجب على المرء أن يستنتج باختصار، أنه كان قادراً وفاعلاً بشكل غير عادي. كان إنسانياً وشجاعاً ومبدعاً وغير مترددٍ ومُلهماً جداً لجنوده، بدا أنه يعرف دائماً أفضل السبل لمواصلة الضغط على خصومه والبقاء متقدماً عليهم بخطوة واحدة، حتى يضطروا دائماً للرد على تحركاته دون أن يكونوا قادرين على تنفيذ مخططاتهم. واستغل السرعة وعنصر المفاجأة ووحدة القيادة، وتمكن من تحريك حتى القوى الكبيرة والمتماسكة بإحكام ومهارة عبر مسافات طويلة لفرض إرادته على خصومه بأقل قدر من الخسائر لكلا الجانبين.

\*\*\*\*

## تعظيم الامكانات البشرية

لم يؤمن محمد فقط بإلهام الناس وتحفيزهم، سواء في السلم الذي أحبه أو في الحرب التي كرهها، ولكن أيضاً بالتفويض المدروس للمسؤوليات. فمن خلال التفويض كان يعلم أنه قادر على تطوير ثقة وقدرة الأشخاص الذين يبدو أنهم يمتلكون إمكانيات للتطور حتى يتمكنوا هم أنفسهم من الانتقال إلى أدوار قيادية. كان مدركاً أن التفويض يُعطي الناس إحساساً بالتمكين والتحفيز مما سيزيد من الانتاجية والفعالية وذلك لأن أولئك الذين تم تكليفهم بالمهام سيعملون بجهدٍ أكبر من المعتاد وذلك لاثبات أن الثقة بهم لم تكن في غير محلها.

ورأى أن للتفويض أربع مراحل متتابعة: الاختيار والتدريب والثقة والمكافأة. وبعبارة أخرى، كان يراقب قومه باستمرار، وخاصة الشباب والملتزمين منهم، باحثاً عن الإمكانيات في الشخص الذي من الممكن أن يُعقد الأمل عليه. عندما كان يرى أن شخصاً لديه ذلك البريق الزائد، فإنه كان يقربه منه أو إلى شيخ آخر، حتى أنه قد يساعد في تدريب هذا الشخص من خلال القدوة والمشاركة المباشرة. وبعد ذلك وعندما يشعر أن هذا الشخص أصبح مستعداً لتحمل المسؤولية كان يفوضه بمهمة. وإن أعتبر ذلك الشخص جاهزاً في بعض الأحيان فإن المهمة تكون كبيرة ومعقدة ومهمة بشكل غير عادي. يجدر بنا أن نحلل كل خطوة من هذه الخطوات بمزيد من التفصيل، بدءاً من الطريقة التي رصد بها محمد المواهب داخل قومه. كما ذكر آنفاً: كان يحب التعرف على قومه ومشاهدتهم في المسجد وفي منازلهم وفي التفاعلات الاجتماعية. في بعض الأحيان كانت زيارتهم للمنزل كضيوف أو كطلاب. حيث زاره بعض أصحابه في أيام متناوبة، وكانوا يجتمعون لمشاركة ما تعلمه كل منهم حتى لا يفوتهم تعليمه<sup>(243)</sup>. ذكر مالك بن الحويرث قائلاً: « أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا »<sup>(244)</sup>.

أشبه ما يكون بأفلاطون في «اكاديميته» وأرسطو مع «ليسيوم»، ابتكر محمد أسلوباً غير رسمي للتدريس أثناء التجوال، والذي لم يقتصر على

جلسات مكثفة داخل منزل في مكة (المعروف باسم «دار الأرقم») فحسب، بل أيضاً محادثات واسعة النطاق ومناقشات والنقاش المكثف كل يوم أثناء سيره مع رفاقه وطلابه.

فهو لم يعلمهم فقط بل كان يراقبهم أيضاً وبعناية، مُدركاً اهتماماتهم، ونقاط قوتهم وضعفهم. كان يتفحص تقواهم وإبداعهم وذكاءهم، وفي وقت لاحق عندما وقعت الحرب كان يراقب ليرى من يمتلك الطاقة والشجاعة والعزيمة.

خلال معركة الخندق، كان بحاجة ماسة إلى معلومات حول تحركات العدو. ودعا إلى متطوع للقيام باستطلاع خفي وخطير خلف خطوط العدو. تطوع رجل هو الزبير بن العوام. وللتأكيد على خطورة المهمة، أعاد النبي الطلب مرة أخرى للمتطوع. وتقدم الزبير مرة أخرى. وسأل للمرة الثالثة، ومرة أخرى تطوع الزبير. وقد سرّ النبي وأثنى عليه علانية قائلاً: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ»<sup>(245)</sup>

كان دائماً سعيداً مع أولئك الذين عملوا بجِدٍ لدعم خطته عندما علموا أنها تنطوي على المشقة أو الكفاح، هؤلاء كانوا هم الأشخاص الجديرون بالتأسيس. مباشرة بعد معركة أحد، والتي كانت أول هزيمة لـ محمد، دعا إلى أن يركب المتطوعون ليلحقوا بالمنسحبين من الخصوم في استعراضٍ للقوة، وقال «من يذهب في أثرهم؟»<sup>(246)</sup>. وقد أثار ذلك حماساً شديداً، لكنه اختار فقط من بين المتطوعين أولئك الذين قاتلوا في اليوم السابق، ولم يرغب في أن يتظاهر أي من المتهربين أو الجبناء بأنهم كانوا يركبون بشجاعة في أثر العدو في حين أن العدو كان يغادر بالفعل.

ومن بين الذين اختارهم محمد شقيقان كانا قد أصيبا بجروح خطيرة في اليوم السابق. وبوجود مطية واحدة لهما، كانا حريصين جداً على إظهار قيمتهما بتناوبهما بين الركوب والسير<sup>(247)</sup>. وكان من الطبيعي أن يكون مسروراً بوجود محاربين يمثل هذه المثابرة والثبات.

كان محمد يراقب باستمرار باحثاً بين قومه عن أصحاب المبادرة، وكان أحياناً يسأل: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» ومن ناحية أخرى لم يكن يحب أن يقوم الناس بأدوار أو مهام تتجاوز قدراتهم<sup>(248)</sup>، ولم يكن يحترم الأشخاص الذين يبحثون عن المركز

والسلطة من أجل مصالحهم الخاصة، بدلاً من الرغبة في الخدمة. وفي حديث كثير الاقتباس، وأحياناً ما يُساء الاقتباس منه، قال محمد «يا عبد الرحمن بن سمره، «لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتِ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْنِتْ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفَّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»<sup>(249)</sup>.

لم يحاول محمد التقليل من الروح الرائعة للعمل التطوعي التي تثبت دائماً فائدته الكبيرة داخل المجموعات أو المنظمات. فقد كان معجباً بالرغبة الصادقة في الخدمة التي كثيراً ما رآها. كان بالفعل يحاول أن يقول كما قال إيسوب ذات مرة: «كن حذراً مما تتمناه». وجاءت القيادة مع عبء ثقيل من المسؤولية، لا سيما في أن تكون عادلة بشكل صارم، وكما لوحظ في بداية هذا التحليل، «كلكم مسؤولٌ عن رعيته» والمعنى هنا في الدنيا ويوم القيامة.<sup>(250)</sup>

لقد فهم أيضاً أن الناس يتعلمون بشكل أفضل من خلال العمل. وعادة ما كان يقول: «إِذَا حَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»<sup>(251)</sup>. يبدو هذا توقعاً غريباً ومفطراً، وهو ما يذهب إلى تفسيره بعض المفسرين بالقول أن النبي يعني إماماً للصلاة، أي أنه يجب عليهم أن يقرروا من منهم هو أكثرهم علماً بالقرآن وأحسنهم سلوكاً.

يجب على المسلمين بالفعل تعيين إمام للصلاة، لكن هذه القراءة محدودة لما قصده محمد بالفعل. ومن المنطقي أكثر، أنه فهم أن أي سفر سيتطلب على الأقل بعض الإدارة واللوجستية (لتعلم المهارات الأساسية التي يمكن البناء عليها لاحقاً) وأن مسؤولية هذه الأمور يجب أن توكل لشخص يتمتع بأهلية واضحة.

عندما بدأت غارات القوافل بعد وقت قصير من الهجرة إلى المدينة المنورة، قاد محمد بنفسه بعض البعثات. وفي كل مرة كان يغادر فيها المدينة كان يترك شخصاً مختلفاً مسؤولاً عن المؤمنين في المدينة، وبالتالي كان يشارك الناس في القدرة على تحمل المسؤولية، أو تعلم مهارات جديدة أو تعميق تدينهم من خلال خدمة المجتمع. وفي تتابع قصير ولتوضيح هذه النقطة، ترك سعد بن عبادة، وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبد الله بن أبي مسؤلون.

لقد كان حريصاً جداً على تفويض الناس حتى في سنٍّ مبكرة، لأنه كان يراهم أنقياء، وغيورين ونشيطين ومخلصين وثابتين. على سبيل المثال، في عام 616 م، عندما أرسل مجموعة ثانية مؤلفة من حوالي ثمانين مسلماً إلى الحبشة لطلب اللجوء من الملك أرماح خلال فترة الاضطهاد في مكة، وضعهم تحت سلطة جعفر بن أبي طالب. كان هذا الشاب، الذي يبلغ من العمر 25 أو 26 عاماً، أصغر بكثير من معظم المهاجرين، لكنه كان قد تتلمذ وتدرّب تدريباً شاملاً بشكلٍ غير رسمي بالتعلم مباشرة من محمد وأبو بكر وآخرين من كبار السن. كان جعفر اختياراً ملهماً، فعندما ناقش الملك الحبشي مسألة طرد اللاجئين، تحدث جعفر ببلاغة شديدة وبشكلٍ مقنع عن أوجه الشبه بين تعاليم محمد وتعاليم المسيحية حتى وافق الملك على منحهم اللجوء<sup>(252)</sup>.

قبل عام من مغادرة محمد مكة إلى المدينة المنورة في 622 م، التقى به اثنا عشر شخصاً من أهل المدينة في العقبة خارج مكة وعاهدوه بالطاعة والولاء والامتنال لقواعده الأخلاقية. وعندما همّوا بالعودة إلى ديارهم، طلبوا منه إرسال ممثل إلى المدينة المنورة من أجل تعليم القرآن ودعوة الناس إلى الإسلام. كان بإمكان محمد، والذي كان يبلغ من العمر أكثر من خمسين عاماً آنذاك، أن يرسل أحد رفاقه المقربين ممن هم في فئته العمرية، إلا أنه عين مصعب بن عمير والذي كان عائداً من الحبشة ولم يتجاوز عمره ثمان وعشرين عاماً، كأول سفير للإسلام<sup>(253)</sup>. ولحزن محمد، توفي مصعب في معركة أحد بعد ثلاث سنوات.

بعد فتح مكة عام 630 م. انتقل محمد للدفاع عن نظامه السياسي ضد القوى التي تحتشد ضده، وفي غيابه كان بحاجة إلى تعيين قائد كفاء وجدير بالثقة في مكة المكرمة، التي لم تكن قد اعتادت بعد على الإسلام. على الرغم من وجود عدد لا يحصى من المسلمين المخضرمين ممن يمكن اختيارهم، بمن فيهم أقرب أصدقائه أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وصهره علي بن أبي طالب، إلا أن محمد اختار شاباً يبلغ من العمر 21 عاماً اسمه عتاب بن أسيد، وطلب منه أن يؤم الناس وأن يتصرف كمشرف<sup>(254)</sup>. كان في الواقع أول إمام (بعد محمد نفسه) يقيم صلاة الجماعة في مكة بعد فتحها. كان إدارياً وقائداً جيداً وظل في منصبه في مكة حتى وفاة محمد بفترة طويلة.

وبالمثل، عندما اعتنق شعب بني ثقيف في الطائف الإسلام في عام 630 م، عيّن محمد عثمان بن أبي العاص قائداً جديداً لهم، على الرغم من صغر سنه، لما اشتهر به من التقوى. لقد رأى فيه شيئاً مميزاً، وقد ثبت صحة ذلك. بعد حكمه العادل في الطائف، عمل عثمان بن أبي العاص لخلفاء محمد من بعده كحاكم لكل من البحرين (شرق شبه الجزيرة العربية) وعمان (جنوب شرق شبه الجزيرة العربية).

كان محمد مولعاً جداً بأسماء بن زيد، وهو ابن ابنه بالتبني زيد بن حارثة، ولسنوات عديدة كان أسامة يركب خلف محمد على حماره<sup>(255)</sup>، وهكذا تلقى أسامة تعليماً شخصياً جداً، حتى أن محمداً سمح لأسامة بدخول الكعبة معه، وهو امتياز نادر<sup>(256)</sup>. قاتل أسامة في معركته الأولى عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، وقَتَلَ خطأً جندياً من العدو كان قد نطق بالشهادة<sup>(257)</sup>. وقد تم تصحيحه من قبل كل من بشير بن سعد وهو قائده في السرية ومن قبل النبي. ومع ذلك، عندما كان أسامة في التاسعة عشرة من عمره، أوْعز إليه محمد بأنه يريد أن يرسله إلى الشمال كقائد عسكري لبعثة استشكافية كبيرة للثأر لمقتل والده زيد. وكان في ذلك إساءة للعديد من المحاربين الأكبر سنّاً منه إلا أن محمد تمسك برأيه. وكان أسامة مستعداً ومناسباً تماماً لهذه المهمة<sup>(258)</sup>.

لم يكن هناك أي نوع من المحسوبية أو المحاباة في قرار محمد، كان يعتقد ببساطة أن أسامة وعلى الرغم من صغر سنه، كان هو الرجل المناسب للمهمة. وكان محمد في الواقع، يعارض وبشدة تفويض السلطة أو المسؤولية كبيرها وصغيرها لأشخاص غير مؤهلين أو غير جديرين بها. وقد كان يقول بأن الوثوق بالأشخاص الذين يشرفون على الأمور عندما يكونون غير مؤهلين، فإن ذلك علامة من علامات يوم القيامة<sup>(259)</sup>.

أبو ذر الغفاري الذي اعتنق الإسلام في وقت مبكر جداً وأحد أصحاب الرسول المقربين، جاءه ذات مرة وطلب منه وعد بمنصب عام، وكان يأمل في أن تحقق له صحبتته مطلبه هذا. ولكن محمد ضرب بكفه على منكبه وأوضح له بأنه قد أدرك ضعفاً وأن المسؤولية أمانة، وأنه لا يستطيع إلزامه. وأضاف أن توزيع المسؤوليات في يوم القيامة سيكون مصدراً للندم والخزي ما لم ينطوي على الوفاء المسبق بالالتزامات<sup>(260)</sup>.

وبالمثل، عندما جاء رجلٌ آخر إلى النبي وقال « لقد استعملت فلاناً، لكنك لم تستعملني في أي شيء»، فأخبره محمد بلطف ودعم كبيرين أنه في الواقع، يجب عليه أن يقبل ما قد يبدو له في الوقت الحالي أمراً مجحفاً، وأنه حتى القادة من بعده سوف يتغاضون عن الرجل لصالح الآخرين، وطلب منه أن يصبر حتى يلاقيه يوم القيامة على الحوض حتى يوفى كل أجره<sup>(261)</sup>، إلا أننا لا نعرف نقاط الضعف التي رآها محمد في ذلك الرجل.

وربما كان تعيين شخص لقيادة كتيبة من القوات هو الشكل الأكثر شيوعاً للتفويض داخل مجتمع محمد. فلم تكن الغارات في العادة كما قد يتخيلها المرء في يومنا هذا: معارك تهدف إلى قتل وهزيمة الأعداء لأغراض سياسية. بل إن بعضها كان إما هجمات مفاجئة صغيرة النطاق على قوافل غير محمية أو محمية بشكل خفيف لتحقيق مكاسب مادية في الوقت الذي كان فيه النظام السياسي الإسلامي يكافح مالياً، ومن ثم غارات صغيرة على البدو من أجل الماشية. وكان معظمها عبارة عن «استعراض للقوة» بهدف السيطرة على طرق أو مناطق معينة، أو لثني الجماعات عن التحالف مع قريش، أو لتشكيل تحالفات أو لهداية العشائر والبدو.

كانت هذه الغارات، والتي هي جزء راسخ من الثقافة العربية، بالكاد عسكرية بطبيعتها، وشملت في معظمها أعداداً صغيرة من المقاتلين، والقليل من القتال وعدد قليل من القتلى أو بلا قتلى على الإطلاق. وتخرنا المصادر أن «معركة عيفة» حدثت بشكل خاص خلال إغارة قطبة بن عامر بن حديدة، بأمر من محمد على حي خثعم بناحية تبالة. ومع ذلك لم يكن هناك سوى عشرين مقاتلاً بالمجموع، يمتطون عشرة جمال، لذلك ينبغي علينا أن نضع في اعتبارنا صغر نطاق مثل هذه «المعارك»<sup>(262)</sup>. فعلى الرغم من صغر خسائرها، إلى أنها أعطت النظام السياسي الإسلامي تجربة لا تقدر بثمن، وعندما كانت تكمل بالنجاح، كانت تزيد من هيبة النظام وسلطته. لا عجب أن محمداً رأى فيها تدريباً مثالياً لشبابه.

كان اختيار محمد في بعض الأحيان لهؤلاء القادة مجرد أنه رأى الإمكانيات التي أراد تطويرها، وفي أحيان أخرى كان يختارهم بسبب معرفتهم المحلية العميقة<sup>(263)</sup>.. فعلى سبيل المثال، اختار ابن أبي العوجاء السلمي للإغارة

على بني سليم، التي كان ينتمي إليها، واختار غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني الملوح من بني ليث التي جاء منها<sup>(264)</sup>. وأرسل النبي عمرو بن العاص، على الرغم من حداثة عهده بالإسلام، ليقود كتيبة ضد بلي وقضاة، ولأن بلي كانت من أقارب أمه، وكان محمد يأمل بأن يكون عمرو قادراً على التجنيد من بينهم<sup>(265)</sup>.

ومن المثير للاهتمام أن عمراً رفض السماح لمحاربيه بإشعال النار اتقاء للبرد، ربما لأن النار ستكشف عن مكان وجودهم. وقد جادله بعض المحاربين ممن خدموا لفترة طويلة، ومما لا شك فيه أنهم كانوا مزوعجين كيف لحديث عهد بالإسلام أن يحصل على تفويض النبي، لكن عمراً كان يعلم ذلك حيث قال: «أمرت أن تسمع لي وتطيع، إفعل»<sup>(266)</sup>.

أخذ محمد على عاتقه محاولة تصحيح العيوب التي لاحظها داخل مرؤوسيه، مع الاقرار بالطبع بأن التغيير لا بد أن يأتي في نهاية المطاف من الداخل. بعد اسلام خالد بن الوليد، المحارب الموهوب الشرس الشجاع والذي تسبب هجومه من المؤخرة في معركة أحد إلى هزيمة محمد، كان النبي مسروراً بطبيعة الحال بأن خالد يُقاتل في صفه وليس ضده. غير أنه رأى بوضوح أن خالدًا - وكما قال عن رفيق شرس آخر هو خراش بن أمية - «أكثر ميولاً للقتل»<sup>(267)</sup>. أدرك أن خالدًا كان مقاتلاً موهوباً وشجاعاً، وهو ما يمكن أن يستخدمه إذا تمت السيطرة عليه، ولكن عدوانيته وميله الفطري للعنف يجب أن يتم تخفيفهما خارج المعركة.

وقد تبين في البداية بأنها مهمة صعبة، بعد أن ميّز خالد نفسه في معركة مؤتة عام 629م، إلا أن محمد شعر بالضييق عندما قتل خالد (مثل خراش بن أمية المذكور آنفاً) أشخاصاً أثناء فتح مكة عام 630، وهي حملة كان من المفترض أن تكون خالية تماماً من الدماء. بعد ذلك، ولبعض من الوقت أرسل محمد خالدًا في مهام أخرى، ليست قتالية ولكن لدعوة القبائل إلى الإسلام. كان يأمل محمد أن هذا سيُعلمه الهدوء والصبر. ومع ذلك فقد كان قلقاً من أن خالد قد يتجاوز الحدود، وبالفعل فعل ذلك في إحدى المناسبات، عندما أرسله محمد إلى بني جذيمة في كنانة<sup>(268)</sup>.



عندما رأى بنو جذيمة أن خالداً كان يتوسطهم، أصابهم الذعر وحملوا أسلحتهم. طلب خالد منهم إلقاء أسلحتهم، وأخبرهم بأنه لن يُلحق بهم أي ضرر. وسرعان ما امتثلوا له وألقوا أسلحتهم، وأخبروا خالداً بأنهم في الواقع قد اعتنقوا الإسلام. رفض خالد هذا الإدعاء أو أساء فهمه (لأنهم كانوا يتحدثون لهجةً مختلفة)، قام بتقييدهم وأعدم بعضهم. وكان عدد من محاربي «المهاجرين» و«الأنصار» ممن كانوا في جيش خالد والذين كانوا يعرفون جيداً تعاليم محمد حول العدالة، قد عصوا خالداً بشكل مباشر ورفضوا قتل أي شخص، مما أثار انزعاج خالد. كانوا يعلمون بأن الطاعة ضرورية كما هي العادة، والتي كانت تعاليماً إسلامية. ولكن، كما هو موضح أعلاه، كان لا بد من العصيان على عملٍ مخالفٍ لكتاب الله أو لنبيه. عندما علم محمد بفظاعة عمل خالد، رفع يديه إلى الله وهتف قائلاً «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدًا!»<sup>(269)</sup>. ثم استقرض<sup>(270)</sup> وأرسل علي بن أبي طالب بالمال كتعويض عن بني جذيمة، وليدفع لهم الدية ولتعويضهم عن كل ما تلف وصولاً إلى آنية الكلب. كان الغضب شديداً لدرجة أن علي قام بتعويضهم بشكلٍ مفرط، الأمر الذي أثنى عليه محمد لاحقاً.

عندما قدم خالد نفسه لمحمد، «ابتعد النبي عن خالد غاضباً منه»، وتجنبه لفترة من الوقت ليُعلمه ثقلَ خطئه. حاول صحابييان من المسلمين مناقشة خالد مما جعله يحتج، ثم وبخه محمداً علناً، وطلب منه أن يلتزم الصمت وأن لا ينتقد الصحابة، الذين كانت مزاياهم تساوي ضعف أيّ جبل من ذهب [قصد حرفياً جبل أحد] يمكن أن يقضيه خالد في خدمة الله<sup>(271)</sup>. إن السخط الشديد من النبي كان توبيخاً خطيراً مما جعل خالد يغير من سلوكه.

ومع ذلك، كان محمد يعرف أن خالداً مصدر قوة، وأنه إذا ما تمت السيطرة عليه، فإنه سيصبح بطلاً عظيماً للمسلمين. وقد ثابر بصبرٍ وعمل عن كثب مع خالد لتوجيهه قبل إرساله في مهام أخرى. كان خالد لا يزال يرتكب الأخطاء، على الرغم من أنه لم يرتكب خطأً بنفس القدر من الفظاعة كما حدث مع بني جذيمة. خلال حملة حنين، صادف محمد مجموعة من الناس متجمهرين حول جثة امرأة مقتولة، فأرسل النبي

شخصاً ليسأل عمّا حدث. وعندما عاد وأبلغ عن مقتل المرأة، قال الرسول أن النساء يجب أن لا يقتلن أبداً. عندما علم أن خالد كان المسؤول عن الوحدة المسؤولة، أرسل محمد رسولاً لإرشاد خالد بالألا يقتل النساء أبداً<sup>(272)</sup>. على الرغم من هذا الخطأ، أثبت خالد أنه لا يُقدر بثمن في السنوات المتبقية من حياة محمد، وفي وقت لاحق غزا الشام (سوريا الكبرى) فيما يعتبره معظم المؤرخين العسكريين انتصاراً إستراتيجياً.

عندما قام محمد بتمكين الرؤوسين للقيام بمهام أو مسؤوليات معينة، حاول جاهداً عدم تقييد أيديهم، ولكن وبشكل أكثر مرونة ترك لهم مجالاً للمبادرة والاحتكام. إن منح الرؤوسين حرية استخدام مبادرتهم لا يعني أن الجميع فعلوا ذلك، كان البعض أقل استعداداً من غيرهم. عندما قاد عمر سرية إلى بعض من هوازن في عام 628، تفرق الخصم قبل وصول قواته. اقترح دليل بدوي بأن يقوم عمر بمداهمة مجموعة بدوية أخرى مجاورة، الأمر الذي رفض عمر القيام به لأن محمد لم يأذن بذلك صراحةً<sup>(273)</sup>. وفي مناسبة أخرى، واجه قائد السرية أبو سلمة نفس الموقف الذي واجهه «عمر»، ولكن عندما أدرك أن عدوه قد تشتت، أرسل ثلثي قواته لمداهمة مجموعاتٍ أخرى وأخذ الغنائم<sup>(274)</sup>. وقد كان النبي سعيداً بكل القرارين. ويروي الواقدي قصة إرسال محمد لبشير بن سعيد مع ثلاثمائة مقاتل إلى الجناب، عندما وصلوا إلى المنطقة المجاورة صادفوا قطيعاً من الماشية وتشاوروا فيما بينهم ما إذا كان عليهم الاستيلاء على القطيع، مما يعني أنهم لن يتمكنوا بعد ذلك من التحرك بسرعة أو بشكلٍ مفاجئ، أو ما إذا كانوا سيستمرّون في مواجهة العدو كما تم تكليفهم. وبتنفيذ مبادرتهم، أخذوا الماشية مع أسيرين اللذين اعتنقا الإسلام وتم إطلاق سراحهم من قبل محمد<sup>(275)</sup>. وكانت مهمة ناجحة.

ولعل أفضل تعبير عن المبادرة التي مُنحت إلى من أوكلت إليهم المهام هو ما حدث مع معاذ بن جبل في اليمن. فعندما أرسله محمد ليكون والياً ولجمع الزكاة، سأله كيف يحل أي خلافات<sup>(276)</sup>، أجاب معاذ أنه سيعتمد على الوحي القرآني. وعندما سأله محمد ماذا سيفعل إذا لم يجد الجواب الذي يحتاجه؟، قال معاذ بأنه سيحتذي بمحمد، ويحاول أن يفعل ما يعلم

بأن النبي سيفعله. وعندما استفسر محمد عمّا سيفعله معاذ إذا لم يجد مثلاً مفيداً، قال بأنه وفي هذه الحالة سيجتهد لتطبيق حكمه الخاص. كان محمد مسروراً بالإجابة وربت على صدر معاذ باعتزاز.

نرى هنا تعبيراً مبكراً لما سمّاه علماء المسلمين لاحقاً بالاجتهاد، والكفاح العقلي المستقل لإيجاد إجابات سليمة للأسئلة التي يبدو أنها تُركت دون إجابة من القرآن وتعاليم وممارسات محمد واجماع العلماء. وفي الواقع استخدم معاذ شكلاً من أشكال كلمة الاجتهاد عندما شرح طريقته المقترحة لمحمد. حيث قال «سأجتهد» أي أنه سيبذل قصارى جهده لإيجاد المنطق الصحيح.

كما ونرى هنا أيضاً نوع التمكين الذي نسميه اليوم قيادة المهمة أو ضوابط التوجيه، والذي يعني الثقة بمرؤوسيه المدربين والموثوق بهم لاستخدام مبادراتهم لتقديم النتيجة التي يعرفون أن رئيسهم يريد لها. ويشجع هذا النوع من القيادة على المبادرة وسرعة اتخاذ القرار، ضمن ضوابط معقولة وواضحة ومتاحة ومفهومة على نحو متبادل. يُعلم القائد المرؤوس بنواياه وكذلك عن مهمة المرؤوس الخاصة وسياقها. وبشكل مثالي يُخبره بما هو مطلوب ولماذا هو مطلوب. وبمجرد ابتعاده عن الرئيس، يمكن للمرؤوس عندئذ أن يُقرر في إطار حريته المفوضة أفضل طريقة لإنجاز المهمة، وازعاً في اعتباره ما يعرف أو يعتقد أن الرئيس سيفعله إذا كان هناك.

قد يكون هذا المبدأ غير عادي في بعض الثقافات، ولكن في الإسلام كان هذا ولا يزال طبيعياً جداً. وبغض النظر عن القرآن نفسه، فإن السنة النبوية وجهت كل السلوكيات والأفعال والعادات. وقد حاول كل فرد في مجتمع محمد محاكاة الطريقة التي كان يفعل بها الأشياء الرئيسية والدينية على حد سواء، ليس فقط لأنهم أرادوا نيل رضاه، ولكن أيضاً لأنهم اعتبروه شخصاً مثالياً ونادراً ما يُخطئ. يستخدم بعض المسيحيين اليوم شعار «WWJD» الذي يعني «ماذا كان يسوع سيفعل؟» للدلالة على الضرورة الأخلاقية للتصرف بطريقة تنسجم مع مسيحيهم. قام جميع المسلمين بهذا على مدى ألف وأربعمائة عام، وكان مثال محمد هو محور تركيزهم كجانب أساسي

لفهمهم الديني. وجدت هذه السُّنة مكتوبة بعد قرونٍ قليلة من وفاته في مجموعة واسعة من الأحاديث ومجموعة معيارية للقوانين والإرشادات التي تعتمد عليها.

والأهم من ذلك أيضاً، عندما أرسل محمد معاذ بن جبل لولاية اليمن، قدم له نصائح إرشادية حول كيفية تصرف القائد الجيد دائماً. ومن الواضح أنه مع الرعاية اللطيفة في الاعتبار، بدلاً من الاستغلال أو الإكراه الذي سيؤدي حتماً إلى العدا. قال محمد «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرًا»<sup>(277)</sup>.

آمن محمد بمكافأة التفوق أو الجهد الخاص، وقدم للمساهمين المتميزين هدايا من الأسلحة والملابس والخيول والابل، وحتى الوظائف الإدارية (كتحصيل الزكاة) أو الأدوار القيادية. هناك أمثلة قليلة قد تثبت بوضوح هذه الرغبة في المكافأة.

بينما كانوا يسرون للقاء قريش في أحد عام 625 م، كافأ محمد الحباب بن المنذر، الصحابي الذي كان قبل عام في معركة بدر قد نصحه وأشار عليه بذلك أين يضع قواته. والآن كافأ الحباب بشرف حمل راية الخزرج إلى المعركة.<sup>(278)</sup>

في عام 627 م، قاتل عبد الله بن عمر إلى جانب محمد في معركة الخندق عندما كان في الخامسة عشرة من عمره فقط، بعد أن رفض السماح له بالقتال في بدر قبل عامين<sup>(279)</sup>. ولشجاعته وخدمته المستمرة خلال الغارة على بني قريظة، كافأ محمد عبد الله في عام 629 م بتعيينه في منصب مُقرئ، أو مُقرئ قرآن جماعي.

خلال معركة خيبر كان يأمل في العثور على شخصٍ جديرٍ بما فيه الكفاية ليكون حاملاً للواء. ففي الجيش العربي كان هذا شرف عظيم، وكان عادةً من يُكلف به قائد معيّن. لم يتمكن علي بن أبي طالب في البداية من القتال بسبب مرضٍ في عينه، إلا أنه شعر بالخجل من عدم الانضمام إلى محمد فأخذ مكانه في المعركة رغم مشكلة عينه. تأثر محمد واعجب بتصرفه، ومنح علياً شرف حمل اللواء<sup>(280)</sup>.

بعد بطولة خالد بن الوليد ونكرانه للذات في معركة مؤتة، عندما رفع لواء المسلمين عالياً وحشد القوات له بمبادرة منه بعد مقتل ثلاثة آخرين من حاملي اللواء<sup>(281)</sup>. منحه محمد مكافأة عظيمة، حتى أنها ظلت حيّة لمدة 1400 عاماً وهي لقبه بـ «سيف الله»<sup>(282)</sup>.

وعندما شارك بعض من أهل مكة ممن اعتنق الإسلام حديثاً في معركة حُنين وأثبتوا بالتالي ولاءهم، في الوقت الذي أعرب فيه بعض مستشاري محمد عن قلقهم بشأن مدى إخلاصهم، كافأهم بأعداد كبيرة من الإبل<sup>(283)</sup>.

وعندما عاد عبد الله بن أنيس من مهمة قتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، العدو اللدود والمتعنت الذي كان يحشد قوة ضد محمد، كافأه النبي بهدية وهي عصا، قائلاً له «آيَةٌ بَيِّنِي وَبَيِّنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقد تأثر عبد الله بن أنيس بذلك فقرنها بسيفه، وبقيت معه حتى مات، ثم ضمت في كفنه ودفنت معه<sup>(284)</sup>.

كان محمد يُركز على الأشخاص والمهام، وفي بعض الأحيان كان يُصاب بخيبة أمل عندما تُترك المهمة غير مكتملة، وخاصةً إذا كان يعتقد أن الفريق الذي كلّفه بها -حتى وإن لم يكن القائد نفسه- قادر على إدارتها. أراد أن يرى المبادرات. بعد أن فشلت إحدى السرايا قال بصيغة لوم: «أعجزتُم إذ بعثتُ رجلاً منكم فلم يَمِضْ لأمرِي أن تجعلوا مكانَهُ مَنْ يَمِضُ لأمرِي؟»<sup>(285)</sup> لم يكن يحب أن يُلح على الناس ليفعلوا شيئاً كان قد طلبه منهم. فإذا طلب شيئاً ما، فإنه كان يحب أن يسأل مرة واحدة فقط، كما أراد أن يتم ذلك بشكلٍ صحيح وأن يكتمل بالدرجة التي طلبها<sup>(286)</sup>. عندما طلب من خالد بن الوليد تدمير صنم «العزّي»، عاد خالد وأكد له أنه فعل ما طلب منه. فسأل محمد عمّا فعله، لكنه لم يكن سعيداً بالجواب. فقال له «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها»<sup>(287)</sup>

ومع ذلك كان متسامحاً جداً عندما تُرتكب الأخطاء، وليس من المعروف عنه أنه وبّخ أي شخص لإخفاقه حتى في المجال العسكري، إذا كان قد أظهر جهداً حقيقياً. كما قال «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(288)</sup>. فإذا كانت النتائج ناقصة ولكن الجهد كان حقيقياً، لم ينتقد أبداً. كان يؤمن أنه

«فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»<sup>(289)</sup>.

كما علم أيضاً أن المسلمين يجب أن لا يفصحوا علناً عن أخطاء بعضهم البعض، ولكن حمايةً لكرامة أولئك الذين أخطأوا أو فشلوا، فينبغي عليهم دائماً أن «يستروها»، أي أن يكتموها. قال «.. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»<sup>(290)</sup>. لقد مارس بشكل صارم ما كان يعظ به. يتذكر أنس بن مالك، وهو شاب كان بالنسبة لمحمد ما نسميه اليوم بالمساعد الشخصي، قال «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفَّ قَطُّ وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ»<sup>(291)</sup>.

عندما عاد جيشه من هزيمة مؤتة، احتشد العديد من المدنيين في الشوارع وسخروا واستهزأوا بهم لفشلهم. حتى أن البعض قذفوهم بالأوساخ، بينما سارع محمد إلى وقف هذه المعاملة السيئة قائلاً للناس « ليسوا بفرارٍ وكنَّهم كُرَّارٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(292)</sup>.

كما أنه كما متسامحاً بشكل ملحوظ عندما كان يُعصى، الأمر الذي بالتأكيد لم يحدث كثيراً، ولكن يمكن العثور على بعض الحالات في المصادر الأولى. وهذا ليس بالأمر المستغرب لأنه حتى قوم موسى عصوا موسى. فالكثير من البشر ضعفاء وحمقى وعُصاة بطبيعتهم، حتى مع وجود نبي بينهم لم يكن ذلك دائماً كافياً لتغييرهم. ويُسجل الواقدي أنه عندما وقَّع محمد معاهدة الحديبية، لم يتمكن أتباعه في البداية من إدراك أهميتها الاستراتيجية وأعتبروها إنذالاً. إذ كانوا مستائين وغازبين، فرفضوا أمره بحلق رؤوسهم وذبح الأضاحي<sup>(293)</sup>. كان غاضباً جداً، إلا أنه لم يستطع أن يُجبرهم على الامتثال لتعليماته، إلى أن (وبناءً على نصيحة زوجته أم سلمة) قام وحلق رأسه وذبح أضحيته. الأمر الذي جعلهم يشعرون بالخجل من أنفسهم، وفعلوا أخيراً ما طلبه منهم. وأظهر الوحي بأن المعاهدة كانت في الواقع انتصاراً عظيماً، وسامحهم تماماً دون أي مشاعر سيئة متبقية.

وبالمثل وقبل التقدم نحو مكة في عام 630 م طالب النبي بالسريّة التامة، كما ذكر أعلاه. ومع ذلك، أرسل أحد الرجال وهو حاطب بن أبي بلتعة مُخبراً إلى مكة لتحذيرهم من خطط محمد<sup>(294)</sup>. تم اعتراض المُخبر، واستدعى محمد حاطب. وتوسل وطلب الصفح، موضحاً أنه عصى النبي خوفاً على

ابنه وعائلته الذين لا يزالون مقيمين في مكة دون أي روابط عائلية قويّة يمكن أن تحميهم، تأثر محمد وغفر لـ حاطب.

لا يعني هذا أنه تسامح مع العصيان بين أولئك المكلفين بمهام رئيسية. ومن المعروف أنه قام بطرد ممن تمّ تعيينهم إذا انحرفوا عن التعليمات الواضحة دون سبب. وخلال المسيرة إلى مكة، أصرّ بحزم وبشكل متكرر على أنه يريد فتحها دون إراقة الدماء. وعندما علم أن سعد بن عبادة، وهو أحد قادة الكتائب الأربعة القوية المتقدمة نحو مكة، قد صرّح علناً أن هذه كانت حرباً ولن يكون هناك رحمة، أعفاه محمد من القيادة على الفور<sup>(295)</sup>.

كان محمد غير متسامح أيضاً مع أي شيء أقل من السلوك الأخلاقي الدقيق، كما يظهر في حالة خالد بن الوليد أعلاه، فقد أوضح ذلك علناً عندما كان مستاءً من سوء سلوك شخص ما. وخلال معركة خيبر، كان منزعجاً بشكل خاص عندما عثر على ما كان مخبأً في سرج أحد المحاربين وكان قد خبأ أكثر مما يستحقه الرجل من الغنيمة. لم يعاقبه جسدياً لكنه عامله بقسوه وأعلن عن ذنبه.<sup>(296)</sup>

كان غير متسامح بشكل خاص مع السلوك غير الأخلاقي لأي شخص في موقع المسؤولية. وقال «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكْتَمْنَا مَخِطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(297)</sup>. في وقت من الأوقات استعمل رجلاً يدعى ابن اللتبية لجمع الصدقات المطلوبة من بني سليم. وعندما عاد إلى المدينة، أعلن للنبي كل ما جمعه من مال، ثم أظهر له هدية قال إنه حصل عليها لنفسه. كان محمد غاضباً من أن ابن اللتبية أخذ هدية شخصية أثناء جمع الصدقات ولأنه افترض أن محمد سيأخذ شيئاً لنفسه. فوقف على المنبر وقال:

«مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَجِيءُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُمْدِي لِي. أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا لَا يَأْتِي أَحَدًا مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا فَلَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ فَلَهَا حُورٌ أَوْ شَاةٌ تَيَعَّرُ»<sup>(298)</sup>.

ثم رفع يديه وقال «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟».

أدرك محمد أن المعاصي الكبيرة لا يمكن أن تمر دون عقاب، وكان عازماً

بشكل خاص على معاقبة أي شخص يهدد تماسك مجتمعه علناً. فعلى سبيل المثال، وخلال معركة أحد، استغل الحارث بن سويد بن الصامت، وهو مقاتل مسلم من بني أوس، الستار الدخاني الناجم عن فوضى المعركة لقتل المجذر بن زياد وهو مقاتل مسلم من بني الخزرج، كانتقام لثأر دموي<sup>(299)</sup>. عندما علم محمد بهذا العمل الدنيء، والذي كان يُمثل أسوأ ما في النظام القبلي القديم والذي حلّ محله الإسلام، فضلاً عن انعدام الشرف في تقديم القضايا الشخصية على الصالح العام في وقت الأزمات. جعل الرجال في مسجد قباء يصطفون وأخبرهم عن الفعل الشنيع الذي ارتكبه. توسل الحارث طالباً المغفرة، مُدعياً أن الشيطان قد أغواه ليقوم بفعلته، بل ووعده بدفع الدية وبصيام شهرين وتحرير رقبة وإطعام ستين مسكيناً. بقي محمد غير متأثراً بتوسلاته، فقد روعته جريمة قتل مسلم لمسلم، وكان يعلم أن عليه أن يُثبت وبوضوح أن المجتمع الإسلامي قد حل الآن محل العصبية القبلية. وأمر بإعدام الحارث، وهو ما تم تنفيذه حسب الأصول.

\*\*\*\*





## القيادة الدبلوماسية

وكما أنه لا يمكننا أن ننسب الفهم الحديث للاستراتيجية إلى محمد دون فرض مفارقة تاريخية جادة - أي أن ننسب المفاهيم والنظريات المستخدمة الآن، والتي بالتأكيد لم تكن معروفة في القرن السابع- لا يمكننا استخدام إطار دبلوماسي حديث لفهم الكيفية التي تفاوض بها مع المجتمعات والقبائل والأنظمة السياسية الأخرى.

واليوم أصبحنا ننظر إلى الدبلوماسية باعتبارها فن إدارة المفاوضات بين الممثلين المتخصصين («الدبلوماسيين») للدول. ويشمل ذلك: عرض موقف الدولة والدفاع عنه والتفاوض والمساومة؛ والحوار الآخر لتعزيز أهداف السياسة الخارجية للدولة.

عاش محمد في عصر ما قبل الدولة. وشملت الأنظمة السياسية المعترف بها - وهي التنظيمات الاجتماعية المختلفة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية - الواحات والمدن من مختلف الأحجام التي غالباً ما كان لها تأثير على المناطق المحيطة من مختلف القبائل والعشائر بمختلف الأحجام والنفوذ، والتي كانت موجودة أحياناً بمفردها أو مع قبائل وعشائر أخرى داخل تلك المدن؛ بالإضافة إلى مجموعات من العرب الرعويين شبه الرُحّل الذين يعيشون مع قطعانهم في الثغور وفي أماكن أخرى. نظّم كل نظام نفسه من خلال هويته المشتركة، والتي عادةً ما كانت إحساس القرابة أو صلة الأنساب، والتسلسل الهرمي الصغير (باستثناء القادة غير الوراثةيين)، والقدرة على الحصول على الموارد (غالباً من خلال التجارة ولكن في بعض الأحيان من خلال المداهمات) ومن ثم تعبئتها من أجل الرفاهية المثلى للناس. جميع هذه المجموعات كانت مترابطة، مما يعني أنه لا يمكن لأي منها أن تعيش فعلاً دون أن يكون لها بعض التجارة على الأقل مع المجموعات الأخرى، ومع ذلك لم يكن لديها شيء آخر يجمعها معاً، وبالتأكيد ليس لديها أي شعور بأنها «شعب».

في الوقت الحاضر، أصبح الدبلوماسيون ممثلين لحكومات الدول. ابتكر محمد نوعاً من الحكم - بمعنى أنه ابتكر وعبر وفرض المعايير الدينية

والأخلاقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية- ولكنه لم يكن يملك دولة ولم يكن له حكومة بأي شكلٍ من الأشكال الحديثة المعروفة. يُمكننا القول في الغالب بأنه أنشأ أمة متزايدة الاتساع، بحيث أن مجال نفوذها حلّ محل البنية القبلية التقليدية القائمة على الأسرة والعشيرة، وعلى الرغم من ذلك بدت وعملت كقبيلة أكثر مما نطلق عليه اليوم اسم الدولة. وكان دور محمد أقرب ما يكون لدور شيخ القبيلة منه إلى أي من أدوار رئيس الدولة التي نعترف بها اليوم، مثل الملك أو الرئيس أو رئيس الوزراء أو المستشار أو حتى المرشد الأعلى.

ومع ذلك، فإن محمد، الذي تمتع بسلطة ونفوذ كبيرين في جزء كبير من شبه الجزيرة العربية بحلول وفاته عام 632، بعد عقد واحد فقط من نيئه المذاق الأول لما يمكن أن نسميه اليوم على السلطة السياسية كوسيط في المدينة، كان لابد له من تكوين علاقات وتحالفات مع القبائل والجماعات والبلدات المجاورة وغيرها من الأنظمة السياسية. وكان هذا جزءاً رئيسياً من قيادته.

وربما يُمكن أن نسمي هذه الأنشطة دبلوماسية، من دون أن نحاول دفع المصطلح إلى مجال المفارقة التاريخية غير المناسبة. من الواضح أنّ محمداً -مهما كانت تسميتنا لهذه الأنشطة- كان بارعاً فيها بشكلٍ استثنائي، وماهراً في رؤية الفرص وفي استغلال الظروف وتعزيز المصالح وتحقيق النتائج النافعة. وكقائد كانت هذه إحدى قدراته العظيمة.

كما ذُكر أعلاه، في قلب مفهوم محمد للقيادة كان البيعة، تعهد الطاعة الذي يربط الناس بعضهم ببعض، وعادة بموافقة أحدهم على الاستماع للآخر وطاعته في مقابل الحماية والرعاية وحتى المكافأة. وهذا المفهوم يكمن في صميم دبلوماسيته. باختصار، تصور أن تكون جميع القبائل والعشائر والمجموعات الأخرى مرتبطة به، كرسول الله وكأداة لخلق عالم عادل ومتسامح، من خلال تعهدات الولاء والطاعة. وكان يعتقد أن هذا من شأنه أن يخلق عالماً من التقوى والاستقرار والتماسك والأمان. ولتحقيق ذلك، قام بالتواصل مع مجموعاتٍ أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها، بهدف خلق عالم يخاف الله.

واليوم يزعم العديد من الباحثين في الدبلوماسية، كما قال هانز مورغنثاو، أن الجوانب الرئيسية للدبلوماسية تشمل: وضع الأهداف بناءً على تقييم واقعي للقدرات الفعلية والحقيقية والقوة، تحديد تلك الأشياء بالذات في السياسات الأخرى؛ تحديد مدى توافقها أو اختلافها، وضع استراتيجيات ومسارات عمل لزيادة المواءمة وتقليل الاختلافات. وللقيام بالدبلوماسية على وجه فعال، وفقاً لمورغنثاو والعديد من المعلقين المعاصرين، فإن العملية الدبلوماسية لديها ثلاث أدوات متاحة لها: الإقناع والتسوية والإكراه (بمعنى التهديد بالقوة أو بالعقوبات القاسية).<sup>(300)</sup>

لم يتصور محمدٌ أبداً أهدافه وأنشطته الدبلوماسية على هذا النحو، وربما لم يرسم لها قط مخططاً واعياً بأي طريقة تشبه المخطط أو حتى الخطة. ولكنه كان يضع نصب عينيه وضعاً نهائياً واضحاً، وكان يتمتع بأهلية فطرية بديهية لحمل المجتمعات والشعوب الأخرى على القيام بما يريد. وفي أوقات مختلفة قام بكل ما يعتبره المنظرون المعاصرون المبادئ الأساسية للدبلوماسية، واستخدم كل الأدوات الثلاث المذكورة آنفاً.

ومن الواضح أنه كان يأمل في أن يتمكن عادةً من تحقيق أهدافه من خلال الإقناع، الذي يحتل مركز كل الجهود الدبلوماسية. وكان يؤمن بأن الحقائق داخل الإسلام بديهية، وأنه في حال تمكن من إيصال هذه الرسالة إلى المجتمعات الأخرى، فقد تتبناها على أساس معقوليتها ووعودها بالمكافآت الروحية.

وبعد أن ترسخت شرعيته وسلطته الكبيرة، على وجه الخصوص بعد صلح الحديبية وما تلاه من نجاحٍ في خيبر. أرسل محمد دعوات مكتوبة إلى قادة المجتمعات المحليّة داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وامتداداً لحسن الضيافة والكرم اللذين كانا مألوفين ومتوقعين من شيوخ المجتمع العربي، رحّب أيضاً في المدينة المنورة بالعديد من وفود القبائل والعشائر والمجموعات البدوية التي رغبت في معاهدته أو على الأقل الاستماع إلى وجهة نظره. لقد مدهم بممرٍ آمن وبالترحيب. لم يُسلم الجميع، ولكن الذين دخلوا في معاهدات معه عادوا إلى ديارهم بضمانات السلامة والتعايش القائم على التعاون، بشرط دفع الزكاة في حال إسلامهم أو بدفع الجزية إن لم يُسلموا.

ويمكن العثور على مثال واضح للدبلوماسية التي يتضمنها تفاعله مع هذه الوفود في حالة مسيحيي نجران، وهي بلدة في جنوب غرب الجزيرة العربية وشمال اليمن. أرسل محمد إليهم رسالة سلّمها كل من خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب، لم يكن للرسالة تأثير حقيقي، لذا أرسل محمد رسولاً ليشرح الإسلام.

ورداً على ذلك، أرسل المسيحيون إلى المدينة المنورة وفداً مؤلفاً من ستين شخصاً، بينهم علماء للقاء محمد<sup>(301)</sup>. وبمباركة محمد صلوا في المسجد باتجاه الشرق وليس باتجاه مكة<sup>(302)</sup>. ربما تكون هذه هي المرة الأولى التي صلى فيها المسيحيون في مسجد. وعلى الرغم من رباط التوحيد ومن جهوده المضنية، لم يتمكن محمد والمسيحيون من التوصل إلى أرضية مشتركة حول بعض القضايا اللاهوتية، ومع ذلك ظل محمد مضيفاً موفراً لهم الطعام والمسكن.

ورغم فشل كلا الطرفين في إقناع الآخر، إلا أنهما عملاً على إيجاد علاقة مقبولة لهما. وكان المسيحيون يوفرون ألفي ثوب مرتين في السنة، بالإضافة إلى إعارة الدروع والأسلحة في حالة نشوب حرب مع اليمن. وفي المقابل ضمن محمد التعايش الآمن والعلاقات الودية وضمان الحرية الدينية الكاملة دون مضايقات أو تدخل<sup>(303)</sup>. كما وطلب المسيحيون أيضاً أن يُرسل محمد معهم رجلاً حكيماً يمكن أن يخدم كقاضٍ. وفي سعيهم لهذا التعيين الرفيع، تمنى العديد من أصحاب محمد أن يتم اختيارهم، حيث كان عمر يرفع نفسه على أمل أن يلاحظه عندما قام محمد بتفحص المسجد، إلا أن محمداً اختار أبو عبيدة بن الجراح<sup>(304)</sup>.

ونظراً لعدم قدرته على إدارة كل الأمور الدبلوماسية بنفسه، فقد استمر محمد بإرسال الرسل إلى الأنظمة السياسية العربية والخارجية، الكبيرة منها والصغيرة والقوية والضعيفة والمستقرة والبدوية. لم يكن هؤلاء دبلوماسيين بالمعنى الحديث الذين يُمكنهم التفاوض بشكل مستقل بالنيابة عن سياسة معروفة. فبدلاً من ذلك، حملوا الرسالة الروحية للإسلام والبيانات المكتوبة والشفوية التي تؤكد نبوة محمد وأمال التعايش السعيد والمثمر للطرفين بشكلٍ مثاليٍّ في إطار الإسلام، ومن خلال اتفاقيات عدم الاعتداء في حال لم

يكن كذلك. كما أنه توقع عدم تعرض هؤلاء الرسل للأذى، ومن مبدأ المعاملة بالمثل فإنه لم يسجن أو يُلحق الأذى برسُل الأنظمة الأخرى<sup>(305)</sup>. وقد تطور ذلك لاحقاً في الفقه الإسلامي إلى فقه يسمى «أمان» أو «حصانة دبلوماسية»<sup>(306)</sup>. بالنسبة لمحمد، بقي الرسول المسلم المُرسَل إلى مكان آخر ممثلاً عنه، وبالتالي لا يزال تحت حمايته. وكان المُمثل القادم إليه نيابة عن مجتمع آخر ضيفاً، مع الحقوق التي تكفلها له الأعراف العربية، وكان أيضاً تحت حمايته. وقد أخذ هذا الأمر على محمل الجد قائلاً: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(307)</sup>.

وكان يؤمن بشدة بهذا الحق في الأمان إلى الحد الذي جعله عندما سمع (على نحو مغلوط) أن مبعوثه الخاص إلى مكة قد قُتل أثناء محاولة أداء مناسك الحج التي أفضت إلى إبرام صلح الحديبية، يشعر بصدمة شديدة حتى أن أتباعه تعهدوا باستعدادهم للزحف إلى مكة إذا لزم الأمر، بغض النظر عن النتيجة التي قد يقررها الله<sup>(308)</sup>.

فقد أمر محمد رسله الدبلوماسيين بأن يكونوا حازمين في سعيهم إلى التوصل إلى ترتيبات سياسية، ولكن أيضاً بإيصال الرسالة الدينية بلطف. ففي نهاية المطاف، حثَّ القرآن الكريم المؤمنين على أن يكونوا لطفاء في مشاركة رسالته:

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(309)</sup>  
ويقول القرآن أيضاً أن الله أمر موسى بأن ينقل الرسالة برفق إلى فرعون:  
﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(310)</sup>

في البداية لم يكن لدى محمد الكثير ليقدمه للقبايل والجماعات الأخرى باستثناء الفوائد الروحية التي جاءت مع الإسلام، ولكن بعد أن بدأ في توطيد سلطته وحتى في تحقيق بعض الثروة من عام 622 فصاعداً، كان قادراً حينها على تحسين عروضه. قدم حوافز كانت أحياناً كافية لإغراء المجتمعات الأخرى بإنهاء تبعيتها أو تحالفاتها مع مكة، ومن ثم الدخول في حظيرة الإسلام، وإن تعذر ذلك فالتفاوض على اتفاقيات التعايش السلمي.

كانت إحدى الوسائل لتحقيق ذلك هي تخصيص حصص من الغنائم التي يتم تحقيقها خلال غارة أو معركة، فقد منحت الانتصارات العسكرية الكبيرة المتزايدة، ولاسيما النجاحات الكبرى كمعركة حُنين، القدرة على إجتذاب أو الاحتفاظ بولاء مختلف الجماعات التي أدركت أن قبول الإسلام أو على الأقل قبول سلطة محمد يمكن أن يجلب ليس فقط الفوائد الروحية، ولكن أيضاً المكاسب الدنيوية. وقد سبق أن ذُكر أعلاه الحصة السخية جداً من الغنائم التي مُنحت لأبي سفيان بن حرب وأبنائه وغيرهم من كبار الشخصيات المكيّة ممن هم حديثي العهد بالإسلام كوسيلة «لكسب قلوبهم».<sup>(311)</sup>

فرّ أحد أعداء محمد اللدودين، وهو رجلٌ مشركٌ يدعى صفوان بن أمية، من مكة المكرمة إلى اليمن عندما دخلها جيش محمد، ولم يعد إلا عندما تلقى وعداً بالأمان. ظلّ مشركاً، وطلب من محمد إمهاله شهرين للتفكير في خياراته. وعلى الرغم من أن صفوان سبق له وأن نظم وموّل الحرب ضده، إلا أنّ محمداً ردّ بأنه يمنحه أربعة أشهر. تودد محمد بذكاء إلى هذا الخصم العنيد، وطلب منه إعارته دروعاً وأسلحة، وسأل صفوان عمّا اذا كان عليه أن يفعل ذلك، فأجابه محمد بأنه مجرد طلب وديّ وأن صفوان سوف يستعيد ممتلكاته، فوافق. ثم ان محمد ذهب لأبعد من ذلك، فدعا صفوان ببراءة للقتال مع المسلمين في معركتي حُنين والطائف، ووافق صفوان. وبعد أن أصاب محمد غنائم كثيرة، لاحظ أن صفوان كان معجباً بالقطعان الكبيرة من المشية والأغنام التي كانت تمر أمامه. فسأله محمد عمّا اذا كان يحب ما يراه، فأجاب المشرك بأنه كذلك بالفعل، فأجابه محمد بأنّ كلّ ذلك ملكٌ له، وبدون أية شروط اعتنق صفوان الإسلام على الفور<sup>(312)</sup>

قد ينظر المرء الى هذه الإجراءات باعتبارها دليلاً على أن الخضوع لمحمد، أو اعتناق الإسلام لم يكن صادقاً، بل كان يستند فقط إلى الفوائد الملموسة التي يمكن تحقيقها من خلال القيام بذلك. ومن المؤكد أن محمد قد حثّ على الإخلاص، لعلمه بأنها صفةٌ دينية يمدحها ويحثّ عليها القرآن. وكان يكره بشدة النفاق. ومع ذلك كان رجلاً عملياً أيضاً. ويبدو أنه لم يحكم على دوافع المرء، تاركاً هذا الحق لله، مُفضلاً بدلاً من ذلك قبول الأفعال. وكما قال أحياناً بشأن هذه المسألة بالذات «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرُ أَنْ أَنْقُبَ

عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ...»<sup>(313)</sup>. أدرك بعقلانية أنه يستطيع بسهولة كبيرة تغيير معتقداتهم بمجرد دخولهم المجتمع بدلاً من بقائهم خارجه.

في كثير من الأحيان عندما كانت تلتقيه الوفود في المدينة المنورة، كان يُكافئ أولئك الذين يقبلون الإسلام بـ (جوائز) قيمة كالهدايا المصنوعة من الفضة<sup>(314)</sup>. كان لديه مبلغ معياري «للجائزة»، وطلب من بلال أن يُعطيه لكل من اعتنق الإسلام من الوفود، إلا أنه كان يُعطي أحياناً مبلغاً إضافياً إذا علم أن شخصاً ما أتى من قبيلة فقيرة أو أنه كان ينقصه المال من أجل رحلة العودة. قد يرى النقاد المعاصرون أن هذا الأمر غير مستساغ أو على الأقل شيء غير عادي للقيام به، لكنه يتفق مع الوحي القرآني بأن مكافأة الإيمان بطرق ماديّة سوف يُعزز الإيمان ويخلق عرفاناً طويلاً الأمد. ومن الناحية السياسية، سيؤدي ذلك إلى استمرار الولاء.

عندما قدم إبراهيم بذريّة إلى مكة فإنه تضرع إلى الله قائلاً: ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء بجوار بيتك المحرم، وإني فعلت ذلك بأمرك؛ لكي يؤدوا الصلاة بحدودها، فاجعل قلوب بعض خلقك تنزع إليهم وتحنّ عليهم، وارزقهم في هذا المكان من أنواع الثمار؛ لكي يشكروك على عظيم نعمك. فاستجاب الله دعاءه:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(315)</sup>

وربما كان نظام «المكافأة» الذي يتبعه محمد يمثل إغراءً، وهو أسلوب دبلوماسي يتسم بالاحترام الشديد لكسب الناس الذين قد يحتاجون بخلاف ذلك إلى أسبابٍ مختلفة للتوصل إلى اتفاق غير الإقناع الفكري البحت، لكنها من المؤكد لم تكن رشوة: المال المدفوع للحث على نوع من السلوك غير الأخلاقي. وفي الواقع لا يكشف المصدر الأول عن أي أمثلة على تقديم محمد لأي رشاوى، ناهيك عن أي شيء غير أخلاقي.

لم يساوم محمد على الأمور الدينية، لكنه غالباً ما فعل ذلك في المسائل الدبلوماسية، مثل قبوله معاهدة الحديبية من أجل التوصل إلى حلٍ مفيد للجميع، حتى لو كان ذلك يعني التخلي عن الأهداف قصيرة الأجل. لقد أدرك أن التعنت والجمود كانا غير مفيدتين في المفاوضات، وفي بعض الأحيان



كان يتراجع أو يلين في مطالبه. حقيقة أن مفاوضاته غالباً ما أسفرت عن اتفاقات بعدم اعتداء، بدلاً من قبول الطرف الآخر للإسلام، تثبت أنه يمكن أن يقبل بالإنجاز الجزئي بدلاً من الإنجاز الكلي على المدى القصير. والغريب أن العديد من الدول اليوم لا تقدم تنازلات لدولة أخرى إلا عندما تكون ضعيفة. إلا أن محمداً الدبلوماسي غالباً ما فعل ذلك خلال سنوات قوته. لقد فهم تماماً أنه إذا كان الناس سيحترمون اتفاقاتهم، فإن احتمال حدوث هذا سيكون أكبر إذا شعروا أن النبي قد استمع لهم وأنه كان عادلاً في معاملتهم. يذهب الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك. كان محمد يعرف أن الله لا يريد أن يجبر الناس على اعتناق الإسلام، فقد كان القرآن واضحاً في هذا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(316)</sup>.

على الرغم من أنه قد لا يكون واضحاً للعديد من القراء، إلا أن القرآن نفسه يُشير في الواقع في سورة التوبة إلى عمل كبير يتمثل في التسوية الدبلوماسية الانسانية والمتسمة بالرحمة التي كان محمد ملزماً بالقيام بها: الوفاء بوعود الحج بالضيافة والحماية في مكة التي قطعها قريش على نفسها للوثنيين. ولا نعرف مع من أو كيف جرت أي مفاوضات. ولكن ما حدث واضحاً من القرآن الذي أكد في سورة أخرى أن الاخلال بالالتزامات التعاقدية أمر محظور تماماً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(317)</sup>. في الواقع فإن أطول آية منفردة في القرآن (في سورة البقرة 2.282) تغطي موضوع القسم والعقود.

تبدو الآية الخامسة من سورة التوبة، والتي غالباً ما تُسمى بـ «آية السيف»، تصريحاً عنيفاً على نحو غير عادي لنبي كان قد دعا للتسامح والسلام والمصالحة. ولكنه من الصحيح بنفس القدر أنه عندما تُقرأ في سياق الآيات التي قبل وبعد الآية الخامسة، وعند الأخذ بالاعتبار ظروف نزولها على محمد، فليس من الصعب على القراء أن يفهموا أنها تشتمل، وكعمل من أعمال التسوية السياسية، على فترة سماح لغير المؤمنين الذين كانت لديهم اتفاقيات قائمة مع قريش. وهذه هي آية السيف:

﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

حقيقة أن الآية تبدأ بالفعل بالحرف العربي «فاء»، المترجم هنا «إذن»، يشير إلى أن خطأ المنطقي ينساب من الآية أو الآيات التي تسبقها، وفي الواقع فإن الآيات الأربع السابقة تشرح السياق.

وتعطي الآية (1) السياق التاريخي باعتباره انتهاكاً لمعاهدة الحديبية. بعد عامين من توقيع المعاهدة، هاجمت قبيلة بنو بكر المتحالفة مع قريش، قبيلة بني خزاعة، التي انضمت إلى جانب المسلمين. وقد اعتبر محمد الهجوم على نحو صحيح انتهاكاً للصالح، مدركاً أن الهجوم على حليفٍ يُشكل من الناحية الفنية هجوماً على مجتمعه<sup>(318)</sup>. لم يستطع السماح لهذا الأمر بالمرور، ولم يكن يريد ذلك. ولم يكن الأمر يتعلق بالسماح لسوء سلوك حليفٍ صغيرٍ بإجباره على ذلك، لقد رأى ضرورة أن يُظهر لحلفائه الآخرين أنه سيحترم دائماً تحالفاته معهم. لذلك فتح مكة بسلام وظهر الكعبة (حيث دمر ما لا يقل عن 360 صنماً بداخلها).

وفيما يتعلق بفترة التطهير هذه، تضمن الوحي القرآني على تحذيرٍ شديد الصرامة، مفاده أن أي شخص يريد القيام بالحج الوثني إلى مكة، أو الاستمرار في الطقوس غير الأخلاقية داخلها، فعليه أن يفهم أنه من الآن فصاعداً لن يُسمح له القيام بذلك. ولن يتم التسامح مع الشرك وعبادة الأوثان مرة أخرى داخل مدينة الإسلام المقدسة، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، ستكون مدينة مكرسة لله وحده. كما تقول الآيتان (17 و 18) من سورة التوبة:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ۗ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۗ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

تم الكشف عن الآيتين 2 و 3 من خلال محمد لإعطاء المشركين أو عبدة الأصنام الذين يقيمون في مكة وضواحيها وكذلك أي حجاج مشركين أو وثنيين ممن يعبرون على طول طرق التجارة التي يسيطر عليها المسلمون وطرق الحج، تحذيراً واضحاً لهم بأن عليهم الكفّ أو المغادرة. وشملت النصوص القرآنية بسخاء فترة للعفو - احترام الاتفاقيات التي عقدها الوثنيون من قبيلة قريش - تستمر حتى نهاية موسم الحج الحالي. وهكذا، كعمل من

أعمال التسوية السياسية المحدودة الوقت، منح محمد المشركين وعبدة الأصنام العرب في مكة فترة سماح من أربعة أشهر.

توضح الآية 4 أنه خلال فترة العفو هذه، كان يجب أن يُترك المشركون أو عبدة الأصنام في مكة دون أن يمسه أحد بسوء لكي لا يصبح المسلمون أنفسهم ناقضين للوعد:

﴿فَأْتِمُوا إِلَهُمَّ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

وبعد أن أوضح أن التهديد بالعنف سيبينطبق فقط على أولئك الذين تجاهلوا التحذيرات واستمروا في ممارسة الشرك أو عبادة الأصنام في المدينة المقدسة وما حولها، وكانوا لا يزالون على درجة من الحمق بما فيه الكفاية لكي لا يغادروا بعد انقضاء الأشهر الأربعة. والآية رقم (5) (آية السيف) حذرتهم بوضوح من أنه سيكون هناك تطهير مسلح أو تنقية يخاطرون فيه بوضوح بتعرضهم للقتل.

وفي الواقع، فإن للآية فقرة ثانوية، فبعد التوجيه باستئصال وقتل أي شخص تجاهل التحذيرات الواضحة والمغلظة، واستمر على الشرك أو عبادة الأصنام في المدينة المقدسة، أوعزت للمسلمين بأن يتذكروا بأن عليهم أن يكونوا رحماء «فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» مع أولئك الذين تابوا وقبلوا التزامات التائبين وفق الاسلام. وعلاوة على ذلك، يتبع آية السيف مباشرة آية خيرية على نحو غير عادي، حيث أن أياً من الوثنيين الذين يطلبون الحماية أو الحصانة في حال حدوث أي عنف مستقبلي لا يجب استبعادهم من ذلك العنف فحسب، بل يجب اصطحابهم إلى مكان آمن.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(319)</sup>.

أما بقية سورة التوبة فتحتوي على المزيد من الشرح للمسلمين حول سبب حاجتهم الآن للقتال والقتال الشرس، لكل من حنث بيمينه أو انتهك حُرمة الأماكن المقدسة، على الرغم من الآمال السابقة بالسلام وفقاً لشروط معاهدة الحديبية والبيعة التي قام بها محمد عندما دخل مكة. من الواضح أن هذه الآية لم تكن تتطلب العنف ضد كل من هو غير مؤمن، بل اقتصر على أولئك الذين تجاوزوا إتفاقياتهم الدبلوماسية القائمة، كما توضح الآيتان (11 و12):

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ  
الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي  
دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾

وحقيقة أن محمداً كان يُفضل الإقناع وكان بوسعه أيضاً توظيف التسوية  
في الأمور الدبلوماسية، كما تظهر في هذه الحالة، لا يعني أبداً أنه كان  
حريصاً على تجنب اللجوء إلى الإكراه الدبلوماسي. فإرسال رسول إلى فدك في  
الوقت الذي كان يُحاصر فيه خير كان بالتأكيد عملاً من أعمال الدبلوماسية  
القسرية. وسرعان ما توصلت فدك إلى تسوية معه.

وكانت المسيرة التي انطلقت إلى مكة عام 630 قهرية تماماً من الناحية  
الدبلوماسية، وهي حقيقة لا يمكن اخفاؤها بحقيقة أنها كانت غير دموية.  
عندما هاجم بنو بكر، المتحالفون مع قريش، بني خزاعة المتحالفين مع  
المسلمين، انطلق أبو سفيان زعيم قريش على الفور إلى محمد في المدينة  
وناشده بعدم حمل هذا الأمر ضد قريش مطالباً بإعادة تأكيده على  
معاهدة الحديبية. وبمهارة كبيرة، حافظ محمد على مكانته الأخلاقية العالية  
بينما رفض نظيره العصبي.

ثم بدأ محمد بتجميع جيش ضخم قوامه عشرة آلاف من محاربي المدينة  
والحلفاء لقيادتهم نحو مكة، في الوقت الذي كانت فيه مكة - التي فقدت  
العديد من حلفائها إلى جانب المسلمين وكانت تعاني من نقص الغذاء الآن  
حيث سيطر المسلمون وحلفاؤهم على معظم المناطق والطرق حول مكة  
(320) - غير قادرة عسكرياً على المقاومة. ولا يمكن أن يُنظر إلى هذا على أنه  
تهديد باستخدام القوة الذي تم إعداده ببراعة لإجبار القيادة المكيّة على  
تسليم المنطقة المقدسة إلى النظام الإسلامي. بعبارة أخرى، أحدث محمد لدى  
خصومه توقعاً بتكاليف ضخمة كافية لكسر دوافعهم في مواصلة معارضتهم  
لرغبته في الإصلاح الديني.

كان محمد يحلم منذ فترة طويلة بفتح مكة، وعمل بلا كلل لتطویر  
القوة الكافية، من خلال الدبلوماسية الذكية مع القبائل والجماعات الأخرى،  
لجعل تهديده يبدو وشيكاً وقابلاً للتصديق تماماً وأنه لا يُقاوم على الإطلاق.  
ومع ادراكه لهذا الحشد، عاد أبو سفيان إليه للمرة الثانية، للتفاوض على  
التسوية الآن.

وأوضح محمد أنه لن يقبل بأقل من إنهاء الشّرك في مكة، وإدراكاً منه أنّ محمداً لا يمكن إيقافه، تفاوض أبو سفيان على استسلام مكة. وهكذا تفوق محمد على القيادة المكيّة بحنكة سياسية بارعة، مما أجبرها على الخضوع لإرادته بدون استخدام القوة.

ولا بدّ من القول أنه لم يحدث أي إكراه ديني. حتى عندما أقسم المجتمعون من أهل مكة ببيعتهم لمحمد أمام الكعبة، لم يُجبروا ليصبحوا مسلمين. واختار الكثير منهم القيام بذلك بمحض إرادتهم، وفي الأيام والأسابيع التالية قام المزيد منهم بالدخول بالإسلام.

في حين يُصر منتقدو الإسلام على أن محمد أكره القبائل والجماعات العربية دينياً، وليس فقط دبلوماسياً، إلا أنه لا يمكنهم أن يغفلوا عن ملاحظة أن العديد من السرايا التي أرسلها محمد لم يكن هدفها عسكرياً ولم تتسبب في أي وقوع للقتلى. بل كانت بدلاً من ذلك إما لمهام «دعوية» (لدعوة الناس إلى الإسلام) أو استعراضاً للقوة ليثبت لقادة القبائل أنه يمتلك قوة حقيقية وأنهم قد يحسنون صنعاً بالتحالف معه. أصدر قادة السرايا دعوة للإسلام وتهديداً قسرياً بأنه إذا لم يخضعوا لسلطة محمد، فإن القتال سيتبع ذلك. للوهلة الأولى، يبدو أنّ المصادرَ الأولىَّ تدعم هذا. فعلى سبيل المثال يخبرنا ابن هشام أنه، بعد بضعة أشهر من فتح مكة:

بعث الرسول خالداً بن الوليد... إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره بدعوتهم إلى الإسلام ثلاثاً قبل أن يقاتلهم. فإن استجابوا، فعليه أن يقبل منهم؛ وإن رفضوا قاتلهم. ... فانطلق خالد إليهم قائلاً: أسلموا تسلموا، وأرسل فرساناً في كل الاتجاهات يدعون الناس إلى الإسلام، فأسلم الرجال.<sup>(321)</sup> ومع ذلك، يجب التمييزُ بشكلٍ واضحٍ بين الخضوع بالاكراه الدبلوماسي لقبول سلطة محمد والدخول في تحالفٍ سياسي معه - والذي لم يتطلب اعتناق دين محمد - وأيّ مفاهيم عن التحول القسري للإسلام، والذي كان محمد يقف ضده بثبات. ويمكن لأي مجموعة أو قبيلة أن تقوم ببساطة بالولاء السياسي لمحمد وأن توافق على عدم الانضمام إلى تحالفات ضده، وعندها لن يحدث أي قتال ويمكن للمحاصرين أن يحافظوا على دينهم<sup>(322)</sup>. وكل ما كان عليهم القيام به هو الموافقة على دفع ضرائبهم إلى نظام حكم محمد كجزية وليس كزكاة.

وفقاً للعديد من الأحاديث، شرح محمد لقادة السرايا أنه أرسلهم لتوسيع نظام الحكم وثرواته القائمة على الضرائب (من خلال التحالفات) وأنه لا يريد الإكراه الديني:

«إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفياء والغنيمه نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله تعالى وقاتلهم»<sup>(323)</sup>.

وعلاوة على ذلك، وحتى في حالة «بنو الحارث بن كعب» المذكورة آنفاً، والتي يبدو أنها تنطوي على تهديد باستخدام القوة المسلحة لفرض الإسلام، تكشف المصادر أن الإكراه الدبلوماسي المطبق كان ثقيلاً على نحو غير عادي لسبب فريد. وكان ذلك لما لهذه العشيرة من سمعة قوية في المقاومة الشرسة («أنتم الذين إذا زجروا استقدموا») وفي الغزو («تغلبون من قاتلكم»)، الأمر الذي ذكره محمد لهم عندما أرسلوا وفداً إليه.<sup>(324)</sup> وهكذا، فإننا نرى محمداً الدبلوماسي قائداً ذا كفاءة وإنجاز جديرين بالملاحظة، وبزيادة مطردة في قوة نظامه السياسي من خلال المعاهدات وتعهدات الولاء. وفي أوقات مختلفة استخدم الإقناع والتسوية والإكراه، وكان الاختيار بعناية هو ما يحتاج إليه في ظروف خاصة.

\*\*\*\*



## الخلاصة

وصف المؤرخ والمنظرُ مارتن فان كريفيلد نابليون بوناپرت بأنه «أكثر البشر كفاءة على الإطلاق»<sup>(325)</sup>. وقد عرّف نابليون بأنه يمتلك مزيجاً نادراً من الإرادة والفكر والطاقة العقلية والجسدية، ونسب إليه النجاح المنقطع النظير تقريباً كقائد إجتماعي وسياسي وعسكري. بيد أن نابليون لم يكن رجلاً متديناً، ناهيك عن كونه قائداً دينياً، ولم يجد تألقه الذي لا يمكن إنكاره تعبيراً عنه في أفكار جديدة أو مؤثرة حول الأخلاق أو الروحانيات. ومن هذا المنطلق، يبدو بطريقة ما أقل اكتمالاً أو قريباً من محمد، رجلاً استثنائي بنفس القدر مع مجموعة من المواهب التي وجدت أيضاً في عدد قليل جداً من القادة، ولكن من أعطى العالم مجموعة جديدة من الأفكار حول الكيفية التي يجب أن يرتبط بها البشر بالله وكيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض بقيت حيّة لمدة لمدة 1400 عام.

لم تكن المهمة في هذا الكتاب القصير هي تحديد مدى «كفاءة» محمد، أو استخدام عبارة فان كريفيلد، أو تحليل مساهمته في التاريخ. ولم تكن حتى بأن نقول أي نوع من الرجال هو. ولكن بتواضع أكبر بكثير، كانت المهمة تتلخص فقط في التحقيق فيما كشفت عنه المصادر العربية الأولى عن قدرته واستعداده للقيادة، ولتحديد ما إذا كان قد تصرف بطرق حققت نتائج إيجابية، لا سيما تلك التي سعى إليها بالفعل، خلال ثلاثة وعشرين عاماً كقائد.

تظهر تلك المصادر بوضوح أن محمداً تمكن من تحقيق نتائج لافتة للنظر حقاً. بعد عقدٍ من النضال داخل الشعب المعادي من مواطنيه في مكة، وتمكن من تحويل الجزيرة العربية في غضون عشر سنوات من وصوله إلى المدينة المنورة كمحكم، وكغريب في عام 622 م. لقد استغل هذه الفرصة إلى أقصى حد، واختار ألا يكون مجرد وسيطٍ في الخلافات بين قبائل المدينة المنورة فحسب، ولكن لتقديم رؤية أكبر بكثير لنفسه وأيضاً، وعلى وجه الخصوص للناس من حوله. لم تنبثق رؤيته من الرغبة في اكتساب القوة واستخدامها، بل من أجل خلق حركة إصلاح ديني شددت على التوحيد



الصارم والسلوك الأخلاقي بما يتوافق مع ما أنزله الله له ومن خلاله. ولنشر هذه الحركة، وتعزيز نموها إلى ما بعد مرحلة نشأتها حتى تتمكن من البقاء بعد موته، فإنه يحتاج على الأقل إلى اكتساب بعض القوة، وهي الحقيقة التي أدركها في وقت مبكر جداً.

إن قدرته على رؤية الفرص واستغلالها، وفهمه العميق والبدهي للطبيعة البشرية، سمحت له بتوطيد وتوسيع السلطة بوتيرة غير متوقعة. وهكذا، بحلول وقت وفاته في عام 632، كان قد نال على نحوٍ فعال خضوع جزء كبير من الجزيرة العربية وأنشأ إطار السُّنَّة، التي تعني مثلاً على كيفية قيامه بالأمور، والتي استخدمها خلفاؤه ظاهرياً كنموذجاً لهم عندما انتشروا خارج شبه الجزيرة العربية إلى المسرح العالمي.

لقد فهم محمد السلطة، سواءً من حيث أشكالها الصارمة (فقد عاش في بيئة تتسم بالوحشية الواضحة) أو من حيث أشكالها الدقيقة المطبقة بحساسة. إن نفوره من الشكل الأول ورغبته في جعل الأخير القاعدة التي عمل جاهداً لتحقيقها لم يجعله فقط قائداً يُطاع، مثل بقية زعماء القبائل ولكن أيضاً زعيماً يُحترم ويُحب ويُقتدى به.

فبدافع من التزامه بالاستفادة إلى أقصى حد من التقاليد العربية المتمثلة في «الشورى»، لقد أشرك بثبات أكبر عدد ممكن من الأشخاص الموثوق بهم بقدر ما اعتبره عملياً في قراراته الرئيسية. أُعجب بالمشاركة وتوافق الآراء، ورأى الفوائد التي تجلبها من حيث تعزيز الالتزام. ومع ذلك فقد اتخذ بعض القرارات التي تتعارض مع الأغلبية أو مع الإجماع، وأظهر قدراً كبيراً من الشجاعة الأخلاقية، عندما تطلّب إحساسه باليقين مثل هذا الحسم.

كما أدرك أيضاً أنّ الأهداف التي وضعها جديدةً وغير مُجربة وجريئة وعظيمة على نحوٍ مذهلٍ، وأنه لن يتمكن من تحقيقها إلا إذا جلب الجميع في نفس الرحلة. لذلك عمل بلا كلل ليُعلم أتباعه ويقنعهم بأن رؤيته ستكون نافعة لهم كأفراد وكمجتمع وكأعضاء في ما يمكن أن يصير عائلة بشرية أكبر. وإدراكاً منه بالطبيعة البشرية والمخاوف المتعلقة بالراحة والعافية، فقد تجنب الأفكار التقشفية لصالح رسالةٍ أكثرَ جاذبية: فالخضوع لشرائع الله، والإخلاص في الدعاء والإحسان، والصلاح العام لبعضنا البعض، سيُكافأ عليه في الدنيا والآخرة.

وباستخدام الخطب الأسبوعية المتقطعة، فضلاً عن الخطب الأخرى والمحادثات الفردية، نقل رؤيته بوضوح مذهل، مستخدماً بشكل متكرر عدد صغير من الصيغ الدقيقة والقوية لتسليط الضوء على العناصر الرئيسية لهذه الرؤية والخطوات التي يتعين على أتباعه إتخاذها لبناء العالم الذي تصوره. كان ساحراً عند الكشف عن كلام الله ومقنعاً بنفس القدر في كلماته، فقد كان يتحدث بإخلاص ويقين ودقة، مكرراً نقاطه الرئيسية، بحيث كان أتباعه مقتنعين بحقيقتها وقادرين على تذكرها بشكل واضح.

فالقادة الدينيون يختلفون عن غيرهم من القادة. فالاعتبارات العقلانية للغايات والوسائل والأساليب أقل أهمية بكثير من الاعتقاد بأن الله يمتلك قوة لا حدود لها وبقدرته على إحداث تغيير أو تحقيق نتائج يعتبرها القادة الآخرون مستحيلة. كان محمد يعتقد أنه وكنبي مختار من الله، بإمكانه السعي وراء أهداف تبدو اليوم أبعد من متناول أي شخص. وهذا اليقين بأن الله كان إلى جانبه - أو بشكل أكثر دقة، أنه كان إلى جانب الله - سمح له أيضاً بأن يقوم بردّ شجاع وحيوي وفَعَّال على قوات العدو الأكبر بكثير في معظم المعارك الكبيرة التي خاضها، بما في ذلك تلك التي خاضها في بدر وأحد والخندق.

ومع ذلك، وفيما يتعلق بكل خطوة من الخطوات المتتالية التي يتعين إتخاذها لتحقيق تلك الأهداف، فقد ركّز اهتمامه بشدة على الجوانب العملية وعلى الفوائد. ومع ذلك فقد كان الرجل العملي الذي صحح بدوياً ترك ناقته قادرة على التجول وبلا قيود. وسأل محمد، ما إذا كان ينبغي عليه أن يربطها أو أن يثق بالله ليوقفها عن السير. فأجابه محمد: «اعقلها وتوكل»<sup>(326)</sup>. وبعبارة أخرى، حتى الإيمان لم يعف من مسؤولية التخطيط العقلاني والاهتمام بما هو ضروري من الناحية العملية. ولذلك عمل محمد جاهداً على وضع وتطوير الخطط والحصول على الموارد وتوزيعها. وفي كل مرحلة من مراحل استراتيجيته المتكشفة، خطط بعناية للإجراءات التي ينبغي عليه إتخاذها للوصول إلى المرحلة التالية. كان لديه الموهبة لتخطيط تسلسل الأنشطة التي من شأنها، واحدة تلو الأخرى، أن تحقق له ما يريد.

ومع إدراكه أن التبعية تكون أقوى عندما يُنظر إلى القائد على أنه يتقاسم نفس الامتيازات والصعوبات والحرمان والمخاطر التي يتشاطرها أتباعه، فقد

أرهب محمد نفسه جسدياً بين قومه، وأكل ما أكلوه، ورحل على طريقتهم، ونام في العراء أثناء حملاته، وقاتل في وسطهم. وشارك في نفس الخطر المتمثل بأنه وفي أي لحظة يمكن أن تنتهي حياته، ملتزماً بين يدي الله بدعوات حارة، وبرؤية أتباعه ذلك، ضحوا أحياناً بأنفسهم لضمان بقاءه. وقد تعززت علاقته المميّزة بشعبه إلى حد كبير بلمسته المشتركة؛ قدرته على تقديم نفسه في الوقت المناسب بشكلٍ جديرٍ بالثقة كنبي لله ولكن وفي الوقت نفسه كرجل عادي يمكنه ان يتعامل وينجذب مع أولئك الذين هم من كل مسالك الحياة، بمن فيهم الفقراء والضعفاء. أراد الناس أن يتبعوه، لأنهم وعلى الرغم من معرفتهم بأنه كان نبي وقائد، وبسلوك أخلاقي أعلى، إلا أنه لم يتبنَّ قط جواً من الاستعلاء، ولكنه بدا من نواحٍ عديدة أنه يشبههم بالأذواق والاهتمامات والمتع العادية.

اختار مستشاريه ومناصريه الرئيسيين بعناية وبصيرة، وطمأن بأن أي شخص آخر سيكون قادراً على الوصول إليه في حال كانوا قريبين منه، وأنهم سيكونون مستهدفين للتعرف على أفكاره وتوقعاته إن كانوا بعيدين عنه. وكان يفوض بسهولة وبشكل روتيني، مستخدماً نمطاً بسيطاً مكون من أربع مراحل متتالية هي: الاختيار والتدريب والثقة ومكافأة الأشخاص المناسبين. لقد كان متمكناً بارعاً في اكتشاف المواهب، وبعد إعداد الأفراد من خلال توجيهاته غير الرسمية أو من خلال شخصيات بارزة أخرى، كان يقوم بتكليف الأشخاص الذين رأى فيهم الإمكانيات بمهام أكبر وأكثر تعقيداً.

وعندما قام بتمكين الناس من القيام بمهام أو مسؤوليات معينة، حاول جاهداً إزالة القيود غير الضرورية، تاركاً لهم بعض الحرية للمبادرة والتحكيم. ويقيناً منه بأن الخطأ في الصفح خيرٌ من العقاب، كان مترفقاً مع الناس ومتسامحاً مع الأخطاء، ولم يوبخ أحداً قط على عدم نجاحه إذا بذل قصارى جهده. معتقداً أن الكثير من البشر ضعفاء وحمقى وعصاة بطبيعتهم، حتى وإن لم يكن في وسطهم نبياً كافياً لتغييرهم بسرعة على الأقل، كان أيضاً متسامحاً بشكل لافت للنظر عندما كان يُعصى. حدث هذا من حين لآخر مسبباً له الأذى، لكنه كان دائماً يتحرك بسرعة لإعادة بناء

الانسجام والنوايا الحسنة. كان يؤمن بمكافأة التميز أو الجهد الخاص، في عصر ما قبل ظهور الميداليات وقوائم الشرف بوقت طويل، استخدم مجموعة متنوعة من الطرق - بما في ذلك تقديم الهدايا والاعتراف العلني - للتعبير عن تقديره ولرؤية أن الأشخاص الذين قاموا بعمل جيد يشعرون بالمكافأة.

وهكذا أصبح من الواضح أن المصادر العربية المبكرة لحياة محمد كافية في اتساعها وعمقها واتساقها لإعادة بناء صورة لقيادته تُفسر النجاح الكبير لهذه القيادة. كان قائداً من الدرجة الأولى، بمستويات عالية وغير عادية من الكفاءة والحدس والموهبة والقدرة. كما كان يفكر في الطريقة التي يدير بها الأمور، ويتعلم بسرعة كيف يفعل شيئاً أفضل في كل مرة ويدون ملاحظات ذهنية حول ما نجح أو لم ينجح، حتى يتمكن من تبني ما نجح وتجنب ما فشل. كان محمد قائداً فعالاً للغاية.

\*\*\*



## إضافة: دروس للقادة

عادة ما يتمسك المؤرخون بالماضي، ولا يرون أن عملهم له وظيفة عملية أو أنه يُحتاج إليهم. ويحدوهم الأمل في أن تكون إعادة بنائهم للماضي مثيرة للاهتمام ومضيئة في حد ذاتها، وأن تكشف عن ملاحظات ورؤى ثاقبة حول الحالة الإنسانية التي قد تسبب تفكيراً أعمق حول ما إذا كان ينبغي البحث عن أي «معنى» أو اكتسابه. وعادةً لا يكتبون بهدف جعل عملهم «مفيداً»، بمعنى أن يتمكن القراء من استخدام كتاباتهم لأي أغراض عملية.

وبصفتي باحثاً من ما يسمى بالبلدان المتقدمة أعيش في القرن الحادي والعشرين في مجتمع تحكمه سيادة القانون ومفاهيم الحرية والفردية، فإنني أدرك تماماً المغالطة المتمثلة في محاولة ربط أحداث الجزيرة العربية في القرن السابع باليوم. حيث لا يوجد تقريباً أي تواصل أو تشابه. ربما كانت الجزيرة العربية التي ولد فيها محمد وحشية وعنيفة كمعظم البلدان المسيحية في ذلك الوقت، ولكن مرّت ألف وأربعمائة عام والعالم اليوم مختلف تماماً.

السمات المهيمنة في الجزيرة العربية في القرن السابع: مهد الإسلام، القبليّة، والثأر، والتنافس المستمر على الموارد، والثروة والمكانة بين المجتمعات الصغيرة، وقلّة القوانين المطبقة على الجميع، وعدم وجود حكومة شاملة يمكن أن تخلق أي نوع لنظام أوسع والحفاظ عليه. لقد حدث تقدم كبير ولم تعد هذه السمات موجودة في معظم الأماكن في عالم اليوم.

إن رغبة محمد في تغيير الجزيرة العربية والعالم الأوسع لا تُلغى حقيقة أن الطريقة الوحيدة التي يمكن للمؤرخ أن يفهم من خلالها ممارسات وأساليب محمد القيادية هي رؤيتها ضمن سياقها التاريخي الفريد ووجودها نتيجة لذلك. وإزالتها من ذلك السياق يخلق تحديات فكرية كبيرة. وأي محاولة لتحديد ما إذا كان هناك أي شيء دائم وعالمي (أي غير سياقي) ومفيد من حيث «الدروس» لا بد وأن تستند إلى درجة من اليقين بأن طبيعة التجربة الإنسانية بطريقة ما لم تتغير. ويجب أن يكون المرء جريئاً بما يكفي ليؤكد أن «ما نجح في ذلك الوقت سوف ينجح اليوم».

لن أؤكد هذا، على الأقل دون تأطير الرأي بمحاذير كبيرة، ولكن من الواضح أن الطبيعة البشرية - الخصائص والدوافع والسلوكيات التي تبدو مشتركة بين جميع الناس، بما في ذلك الطرق الفطرية في التفكير والشعور والتصرف - ظلت ثابتة إلى حدٍ ما. ولا تزال التفاعلات الاجتماعية المعقدة والعوامل التي جعلت البشر يشعرون بالحسد والغضب والخوف والرضا والتفاني والوفاء في القرن السابع في الجزيرة العربية تحمل هذه الآثار حتى يومنا هذا.

من الواضح أيضاً أن محمد كان لديه تقدير طبيعي وعميق وصحيح لعلم النفس البشرية وعرف كيف يُلهم الناس وكيف يُحفزهم. لقد أظهر سلوكاً قيادياً، واستخدم مفاهيم وتقنيات معينة، والتي يمكن لقادة اليوم التفكير بها على الأقل. وبالنتيجة فقد أثبتت قيادته نجاحاً عميقاً، حيث غيرت الجزيرة العربية خلال سنوات حياته وأوجدت منها مجموعة الأمثلة السنوية السلوكية، والتي لا يزال 1.8 مليار مسلم، أي ربع العالم، يحتذون بها بحماس منقطع النظير.

أدرس القيادة والقادة، وأجريت أبحاثاً ونشرتها حول كليهما. كما تشرفت بقضاء أكثر من عقدين من الزمن في تدريسها للقادة العسكريين والمدنيين في العديد من البلدان. ولو سألتني أحد الطلاب ما اذا كان محمد زعيماً فعلاً، لكنت أجيبته دون تردد بالإيجاب: نعم، لقد كان رجلاً موهوباً جداً وقائداً استثنائياً. وإذا ما ضغطوا عليّ أكثر من ذلك، وأرادوا مني تجريد السياق التاريخي لجزيرة محمد العربية لمعرفة ما إذا كنا قادرين على تحديد أي «درس» دائمة من حياته الرائعة حول الكيفية التي قد يرغب فيها القائد في التفكير في القيام بالأمر اليوم، فإنني سأكتب لهم قائمة تشبه كثيراً القائمة التي أقدمها هنا:

### الشخصية والصفات

- تجسيد وضرب المثل بأفضل الصفات والقيم الإنسانية.
- لا يُنظر إليك على أنك طموح أو واع بالموضع.
- لا تتبن جو التفوق أبداً.
- تجنب أي مصلحة شخصية أو حتى مظهرها.

• كن متواضعا ومرناً ومنفتحاً للتعلم من الآخرين.

• التأمل الذاتي المستمر.

• لا تستمر في فعل ما لا ينجح.

• تعلم بسرعة من الأخطاء.

### الرؤية الاستراتيجية

• تطوير رؤية لخلق حالة أفضل.

• إذا كانت رؤيتك جريئة، فاستعد للمقاومة.

• المثابرة وعدم التنازل عن تلك الرؤية.

• تحويل هذه الرؤية إلى مجموعة أهداف ذات مغزى.

• إنشاء تسلسل للخطوات المطلوبة لتحقيقها.

• توفير الموارد الكافية لكل منها.

### الاتصال الاستراتيجي

• اشرح رؤيتك لكل من سيلعب دوراً أو يتأثر.

• اشرحها بشكل متكرر باستخدام بعض الزخارف الرئيسية المختارة بعناية.

• كن على دراية وثقة لتثبت مصداقيتك.

• ولكن كن متواضعاً وثابتاً وهادئاً أيضاً.

• اشرح بوضوح سبب أهمية الرؤية وكيف ستُحسن الأمور.

• اشرح بوضوح كيف سيستفيد شعبك.

• اشرح بوضوح ما تريد منهم انجازه.

• تذكر أن تُخاطب كل من العقل والعواطف.

### بناء توافق الآراء

• حدد أي فصائل أو مصالح واحتياجات قد تكون منافسة بين الناس.

• حاول إيجاد حلول تعاونية تلبي جميع الاهتمامات والاحتياجات للأطراف.

• استمر في المراقبة للتأكد من أن الجميع يمكنهم العيش بالنتيجة المحتملة.

• ضمان إستفادة الجميع.

• تأكد من أن الجميع يعرفون أنهم سيستفيدون.



## التعلم من الآخرين

- إستشر الآخرين كثيراً بعقل منفتح ورغبة حقيقية في نقد أفكارك.
- إستشر الذين يعرفون ما يتحدثون عنه وأثبتوا أنهم جديرون بالثقة.
- افعل ذلك في إطار المجموعة، وليس فقط بشكل خاص مع الأفراد.
- إيجاد بيئة يعرف الجميع من خلالها أن بمقدورهم التقرب منك بالأفكار.
- إذا كان لدى أي شخص أفكار أو خطط أفضل من أفكارك فلا تكن دفاعياً.
- حاول تحديد وجهة نظر الأغلبية وإذا كان من المحتمل أنها تدفع الفريق قدماً نحو الأهداف، فاتخذ إجراءً بناءً عليها.
- إذا كانت احتمالية القيام بذلك أقل مما قد تفعله فكرتك، فاحرص على امتلاك الشجاعة الأدبية لتوضيح سبب عدم تبنيك لوجهة نظرهم في تلك المناسبة.
- امنح التقدير والثناء للشخص الذي تستخدم فكرته أو خطته.

## تأسيس علاقة

- تعرّف على اهتمامات الناس وآمالهم وقلقهم.
- ابحث عن أرضية مشتركة.
- شارك في كل صعوبة تطلب من شعبك أن يتحملها.
- اعمل بجد مثل أعضاء فريقك الأكثر نشاطاً.
- كن متعاطفاً.
- استمع بصدق ولا تقاطع أو تتجادل مع أي شخص.

## اختيار الطريقة الصحيحة للتعامل مع أي معارضة

- الاعتماد على الإقناع وليس القوة.
- كن مستعداً لتقديم تنازلات أو التخلي عن أهداف قصيرة الأجل إذا كان ذلك سيعود بفوائد طويلة الأجل أو إذا أصبحت المعارضة في أي وقت أكبر من اللازم.
- كن مستعداً لممارسة ضغط معقول ومناسب إذا تعذر إقناع أي شخص أو انه لن يقدم تنازلات.

## إدارة الأفراد

- أختَر الأشخاص المناسبين من خلال البحث عن الذكاء والشغف والطاقة والموثوقية.
- افعل ذلك حتى لو كنت لا تحبهم بشكل خاص.
- لا تظهر لأي شخص أنك لا تحبه.
- دربهم على أكمل وجه من خلال القدوة.
- ثق بهم للقيام بمهام متزايدة الصعوبة.
- أخبرهم بما تريده ولماذا، ولكن لا تخبرهم كيف ينبغي أن يفعلوا ذلك.
- كافئهم على الإنجاز.
- اجعل نجاح الشخص في تحمّل مسؤولية واحدة هو الأساس لتلقي مسؤولية أكبر.
- امتدح دائماً علناً.
- التغاضي عن العيوب.
- اغفر للفشل إذا بذل الشخص قصارى جهده.
- لا تقبل ابداً الفساد الأخلاقي.



## تسلسل الأحداث

|                                       |     |
|---------------------------------------|-----|
| ولد محمد في مكة                       | 570 |
| تلقى محمد الوحي الالهي الأول          | 610 |
| بدأ محمد خدمته العامّة                | 613 |
| الهجرة: هجرة محمد إلى المدينة المنورة | 622 |
| (مارس) معركة بدر                      | 624 |
| (مارس) معركة أحد                      | 625 |
| (مارس-إبريل) معركة الخندق             | 627 |
| (مارس) صلح الحديبية                   | 628 |
| (إبريل) غزوة خيبر                     | 628 |
| معركة مؤتة                            | 629 |
| (يناير) فتح مكة                       | 630 |
| (فبراير) غزوة حنين                    | 630 |
| (فبراير - مارس) غزوة الطائف           | 630 |
| (أكتوبر) غزوة تبوك                    | 630 |
| وفاة محمد في المدينة                  | 632 |



## قائمة المصطلحات

|  |                |
|--|----------------|
| أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري مؤلف السيرة النبوية وهو في الواقع نبذة عن عمل سابق لابن إسحاق الذي هو مفقود الآن.   | ابن هشام       |
| ”تقارير“ أو ”مأثورات“، أقوال وممارسات محمد المسجلة. مجتمع.   | أحاديث<br>أمة  |
| مواطنو المدينة المنورة الذين أوا محمد والكثير من أتباعه (المهاجرين) عندما هاجروا من مكة في عام 622. يحتوي القرآن الكريم على أكثر من ٦٠٠٠ آية، كل واحد منها تسمى آية. | الأنصار<br>آية |
| تعهد رسمي بالولاء والطاعة.   | بيعة           |
| سجل مكتوب لمقولة أو تصرف منسوب إلى محمد تم نقله شفويًا   | حديث           |
| خمس غنائم الحرب التي كان محمد يستخدمها ويوزعها.  | خُمس           |
| طريقة حياة أو مذهب.  | دين            |
| ضريبة الصدقة الإجبارية التي يجب على كل مسلم دفعها  | زكاة           |
| يحتوي القرآن على 114 فصل، كل منها يسمى سورة.   | سورة           |
| السورة التاسعة والأكثر عسكرية في القرآن.   | سورة التوبة    |
| السيرة الإسلامية لمحمد.  | سيرة           |
| يمكن أن تُشير إما إلى هيئة استشارية أو عملية طلب الاستشارة.  | شورى / تشاور   |
| عمل خيري.  | صدقة           |
| يتوافق مع نظام المواعدة المسيحي المعروف باسم بعد الميلاد.  | عصر ميلادي     |
| الحج ”الأصغر“ إلى مكة.   | عمرة           |
| قبيلة عربية كبيرة تعيش في شمال شرق المدينة المنورة.  | غطفان          |
| الفقه الإسلامي.  | فقه            |
| الكتاب المقدس للإسلام.   | قرآن           |
| أقوى قبيلة في مكة، ألد أعداء محمد من 610 إلى 630 م.  | قريش           |
| الحرم المقدس في وسط مكة.   | كعبة           |
| الله بالعربية، الإدراك الإلهي الذي يعبده المسلمون  | الله           |

مسلمو مكة الذين هاجروا إلى الحبشة، ولكن أيضا (على وجه الخصوص) إلى المدينة المنورة  
محمد بن عمر الواقدي مؤلف كتاب المغازي تاريخ  
مبكر لحملات محمد

المهاجرين

الواقدي

## الحواشي

1. روبرت جي هويلاند، رؤية الإسلام كما يراه الآخرون: مسح للكتابات المسيحية واليهودية والزرادشتية عن الإسلام المبكر (بيسكاتواي، نيوجيرسي: مطبعة جورجياس، طبعة 2019).
2. ديودورس سيكولوس: مخطوطات «ببليوتيكاتاريخية». على الإنترنت: <http://www.tertullian.org/rpearse/manuscripts>
3. رفيق عيسى بيكون وجمال بدوي، القيادة من منظور إسلامي (ماريلاند: أمانة، 1999). نبيل الأعظمي، محمد ﷺ : 11 صفة قيادية غيرت العالم (سوانسي: كتب كلاريتاس، 2019)؛ جون أدير، قيادة محمد (لندن: كوجان بايغ، 2010).
4. أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية (بيروت: المكتبة العصرية، 2012). محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي (بيروت: مؤسسة العلمي، 1989)؛ محمد بن سعد بن منيع الهاشم، كتاب الطبقات الكبير (كتاب بهافان، طبعة 2009).
5. سنن أبي داود (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، 2015)، ص. 375.

الحديث 2928

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، فَكَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

توجد متغيرات متطابقة تقريباً في مجموعات الحديث الأخرى، بما في ذلك صحيح مسلم (القاهرة: دار الغد الجديد، 2007)، ص 676، حديث 1829: حَدَّثَنَا قُنَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ



رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْتَوْلٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدِهِ، وَهِيَ مَسْتَوْلَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْتَوْلٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْتَوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

انظر أيضاً جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008)، المجلد 2، ص 419، الحديث 1705

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْتَوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَأَلَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْتَوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْتَوْلٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَهِيَ مَسْتَوْلَةٌ عَنْهُ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْتَوْلٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْتَوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وَأَبِي مُوسَى وَحَدِيثُ أَبِي مُوسَى غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَحَدِيثُ أَنَسٍ غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

6. سورة الإسراء رقم (17) الآية (34).

7. سورة الإسراء رقم (17) الآية (36).

8. الأدب المفرد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004)، ص 306

حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرٌ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، أَنَّ وَهَبَ بْنَ كَيْسَانَ أَخْبَرَهُ - وَكَانَ وَهَبٌ أَدْرَكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَأَى رَاعِيًا وَغَنَمًا فِي مَكَانٍ قَبِيحٍ وَرَأَى مَكَانًا أَمْثَلَ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، يَا رَاعِي، حَوْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كُلُّ رَاعٍ مَسْتَوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)

9. صحيح البخاري (القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004)، ص 686-687، الحديث 3406:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ». قَالُوا أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ قَالَ «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا».

10. الأدب المفرد ص 404:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ،

سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ عَبْدَةَ بْنَ حَزْنٍ يَقُولُ: تَفَاخَرَ أَهْلُ الْإِبِلِ وَأَصْحَابُ الشَّاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بُعِثَ مُوسَى وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ، وَبُعِثَ دَاوُدُ وَهُوَ رَاعٍ، وَبُعِثْتُ أَنَا وَأَنَا أُرْعَى غَنَمًا لِأَهْلِي بِأَجْيَادٍ.

11. صحيح البخاري، ص 439، حديث 2262:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ

12. صحيح البخاري، ص 662، حديث 3301:

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: رأس الكفر نحو المشرك، والفخر والخيل في أهل الخيل والإبل والفدايين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم.

13. بروانه بورشيعتي، تراجع وسقوط الإمبراطورية الساسانية: الكونفدرالية الساسانية-البارثية والغزو العربي لإيران (لندن: آي.بي.تاوروس، 2008)، ص 207.

14. سنن النسائي (الرياض: دار السلام 1999) ص 730، الحديث 5390:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ عَصَمَنِي اللَّهُ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا هَلَكَ كِسْرَى قَالَ «مَنِ اسْتَحْلَفُوا». قَالُوا بِنْتُهُ. قَالَ «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ».

انظر أيضاً صحيح البخاري ص 878، حديث 4425:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ، بَعْدَ مَا كَذَبْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ قَالَ لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ بَنَتْ كِسْرَى قَالَ «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ».

وجامع الترمذي، المجلد 4، ص 263، حديث 2262:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ

الطَّوِيلُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: عَصَمَنِي اللَّهُ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا هَلَكَ كِسْرَى، قَالَ: «مَنْ اسْتَحْلَفُوا؟» قَالُوا: ابْنَتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْتُ عَائِشَةَ يَعْنِي الْبَصْرَةَ ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَصَمَنِي اللَّهُ بِهِ. قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

15. سورة النمل 27: 22-44 أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص المقدس من منظور المرأة (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999)، ص 29-44.

16. جوناثان إيه سي براون، الحديث: تراث محمد في العصور الوسطى والعالم الحديث (أكسفورد: ون وورلد، 2009. طبعة 2011)، ص 249؛ فاطمة المرينسي، المرأة والإسلام: استفسار تاريخي ولاهوتي ترجمته ماري جو ليكلاند (أكسفورد: بلاكويل، 1987)، ص 76.

17. للاطلاع على دور المرأة أثناء الحرب انظر جويل هيوارد، الحصانة المدنية في الفكر الاستراتيجي الإسلامي التأسيسي: تحقيق تاريخي (عمان: المركز الملكي للدراسات الاستراتيجية الإسلامية، 2018)، إصدار خاص ص 12 - 16.

18. سورة الأنبياء 21: 73

19. سورة السجدة 32: 24

20. سورة التوبة 9: 12

21. سورة القصص 28: 41

22. سورة الأحقاف 46: 12

23. سورة الإنسان 76: 24

24. سورة النساء 4: 59

25. صحيح البخاري، ص 1400، حديث 4584.

26. إدوارد ويليام لين، معجم عربي-إنجليزي مشتق من أفضل المصادر الشرقية وأكثرها غزارة (لندن: ويليامز ونورجيت 1863)، المجلد 1، ص 95-97.

27. سورة النساء 4: 64.

28. سورة آل عمران 3: 50.
29. كتاب يوحنا 14.15 ولوقا: (لوقا) 6.46، وفقاً ليوحنا
30. 18.18-19 ديفارم توراة: الأنبياء والكتب المقدسة
31. سورة النساء 4: 80
32. صحيح البخاري، ص 1400، حديث 7137:
- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي».
- تم العثور على متغيرات مماثلة بشكل لافت للنظر في هذا الحديث في جميع مجموعات الأحاديث السنوية الستة المتعارف عليها.
33. سورة النساء 4: 14
34. ابن هشام السيرة النبوية ص 457.
35. سورة آل عمران 3: 152
36. سورة آل عمران 3: 159
37. إيلا لاندوا تاسرون، الأسس الدينية للولاء السياسي: دراسة للبيعة في أبحاث الإسلام ما قبل الحداثة، دراسات عن العالم الإسلامي، السلسلة رقم 2، ورقة رقم 4، مايو 2010 (واشنطن العاصمة: معهد هدسون).
38. سورة الفتح 48: 10
39. لاندوا تاسرون، ص 5-6.
40. صحيح البخاري، ص 1400، حديث 7202:
- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا «فِيمَا اسْتَطَعْتَ».
- وانظر أيضاً: صحيح البخاري ص 144، حديث 7204؛ صحيح مسلم ص 690، الحديث 1867؛ سنن ابن ماجه (القاهرة: دار الحديث، 2005)، المجلد 2، ص 537، الحديث 2868؛ سنن النسائي ص 582، حديث 4179.
41. ابن هشام، السيرة النبوية ص 821.
42. مقارن: سنن أبي داود، ص 332، حديث 2626.

43. مقارن: سنن أبي داود، 332، حديث 2626.

44. سنن النسائي، ص 581، حديث 4168.

45. سنن أبي داود، ص 322، حديث 2625.

46. صحيح البخاري، ص 1401، حديث 7145:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَعَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي قَالُوا بَلَى. قَالَ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا فَأَوْقَدُوا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالْدُخُولِ فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ حَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

مقارن: صحيح مسلم، ص 681، حديث 1840

47. سورة الفتح 48: 10

48. فريد دونر، الفتوحات الإسلامية المبكرة (مطبعة جامعة برينستون، 1981)، ص 67.

49. سورة الفتح 48: 19-18

50. محمد نظير كاكا خيل، «التطور المفاهيمي والمؤسسي للشورى في الإسلام المبكر»، الدراسات الإسلامية، المجلد 19، رقم 4 (شتاء 1980)، ص 271-282.

51. سورة الشورى 42: 38

52. سنن ابن ماجه، المجلد 2، ص 325، الحديث 2318؛ صحيح البخاري ص 1406، الحديث 7169؛ صحيح مسلم ص 928، الحديث 2601؛ سنن أبي داود ص 452، الحديث 3583؛ سنن النسائي، ص 738-737، الحديث 5424.

53. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، ص 48.

54. المصدر نفسه، ص 53.

55. المصدر نفسه

56. المجلد الثالث، ص 925.
57. سورة النجم 53: 4-3
58. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الثالث، ص 937. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد الثاني، ص 196.
59. صحيح البخاري، ص 1212، 1463، أحاديث 6086، 7480.
60. سنن ابن ماجه، المجلد الأول، ص 290-289، حديث 706.
61. سنن أبي داود، ص 69، حديث 498.
62. سنن ابن ماجه، المجلد الأول، ص 290، حديث 707.
63. سنن أبي داود، ص 635، حديث 5128.
64. صحيح البخاري، ص 1432، حديث 7307.
65. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، ص 56.
66. المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 445
67. المصدر نفسه، المجلد الأول، صفحات 208-2011.
68. المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص 445.
69. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد الثاني، ص 81.
70. ابن هشام، السيرة النبوية، الصفحات 748-747. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الثاني، ص 610.
71. سورة الفتح 48: 1
72. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الثاني، ص 617.
73. صحيح البخاري، صفحات 97، 786-785، الأحاديث 428، 3932.
74. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 337. مقارن. صحيح البخاري، صفحات 780-779، حديث 3906.
75. سورة الأحزاب 33: 21.
76. صحيح البخاري، صفحات 819-818، حديث 4101

حَدَّثَنَا حَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ  
 أَتَيْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضْتُ كُدَيْةً  
 شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا هَذِهِ كُدَيْةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ «أَنَا  
 نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلِبْنَانَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا،

فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهَيْلًا أَوْ أَهَيْمًا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْتِنِي لِي إِلَى الْبَيْتِ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا، مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ قَالَتْ عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ. فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ وَطَحَنْتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينَ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَتَائِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ فَقُلْتُ طُعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ «كَثِيرٌ طَيِّبٌ» قَالَ «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ النَّتُورِ حَتَّى آتِي» فَقَالَ «قَوْمُوا» فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ هَلْ سَأَلَكِ قُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالنَّتُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيَقْرُبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

77. المصدر نفسه، ومقارن، ابن هشام، السيرة النبوية، ص 672.
78. صحيح البخاري، صفحات 594، 874-877، احاديث 2948، 4418. الواقدي كتاب المغازي، المجلد الثالث، ص 998.
79. المصدر نفسه، المجلد الأول، ص 24.
80. الواقدي كتاب المغازي، المجلد الثالث، ص 998.
81. سورة البقرة 2: 216.
82. الواقدي كتاب المغازي، المجلد الأول، ص 67.
83. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 444.
84. صحيح البخاري، صفحات 588، 991، احاديث 2915، 4875، 4877. صحيح مسلم، ص 645، حديث 1763.
85. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 445.
86. المصدر نفسه، صفحة 445، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، ص 81.
87. صحيح البخاري، ص 560، حديث 2766. سنن أبي داود، ص 324 حديث 2536. سنن النسائي، صفحات 518، 560، احاديث 3701، 4009.
88. سورة الأنفال 8: 15، 16.

89. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 572-574. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، ص 243.

90. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 846-847. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الثالث، صفحات 899-910. صحيح البخاري، ص 854، احاديث 4315، 4317.

91. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، صفحات 357 358-..

92. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد الأول، صفحات 361، 362.

93. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 258. القصة موجودة أيضاً في سنن أبي داود، ص 508، حديث 4078 و جامع الترمذي، المجلد الثاني، ص 450، حديث 1784.

94. صحيح مسلم، ص 931، حديث 2609 أ:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، قَالَا كِلَاهُمَا قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

مقارن، صحيح البخاري، ص 1218، حديث 6114، وسنن أبي داود، ص 599، حديث 4779.

95. صحيح البخاري، صفحات 95، 579 580-، 1436، أحاديث 420، 2870، 7336. صحيح مسلم، ص 691، حديث 1870 أ. سنن أبي داود، ص 328، حديث 2575. صحيح النسائي، ص 506، أحاديث 3613، 3614.

96. جامع الترمذي، المجلد 2 صفحات 417-416، حديث 1699.

97. صحيح البخاري، ص 580، حديث 2872. قارن. سنن النسائي، ص 506، 507، أحاديث 3618، 3622.

98. جامع الترمذي، المجلد 2، ص 391، حديث 1637:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ لَيَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُؤَدِّ بِهِ» وَقَالَ «ارْمُوا وَارْكَبُوا وَلَئِنْ تَرَمُّوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرَكَّبُوا كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ



وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْحَقِّ».

99. سنن النسائي، ص 505، حديث 3608.

100. صحيح مسلم، ص 705، حديث 1917:

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنِ أَبِي عَلِيٍّ، ثَمَامَةَ بْنِ شُفَى أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَّا يَنْ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَّا يَنْ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»

101. جامع الترمذي، المجلد 4، ص 118، حديث 3083.

102. سنن أبي داود، ص 327، حديث 2574:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ، عَنِ نَافِعِ بْنِ أَبِي نَافِعٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا سَبْقَ إِلَّا فِي خُفٍّ أَوْ فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ»

قارن. أيضاً جامع الترمذي، المجلد 2، ص 417، حديث 1700. سنن النسائي، ص 506، احاديث 3615، 3616.

103. صحيح البخاري، ص 1242، حديث 6247، سنن ابن ماجه، المجلد 3، ص 307، حديث 3700.

104. صحيح مسلم، ص 841، حديث 3236:

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنِ ثَابِتٍ، عَنِ أَنَسِ، أَنَّ امْرَأَةً، كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ «يَا أُمَّ فُلَانٍ انظري أئى السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك». فحلا معها في بعض الطرُق حتى فرغت من حاجتها».

105. صحيح البخاري، ص 1219، حديث 6128:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

106. سنن ابن ماجه، المجلد 1، ص 224-225، حديث 529:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ

عَمْرُو، عَنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ دَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلَا تَغْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَقَالَ «لَقَدْ اخْتَضَرْتَ وَاسِعًا». ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَّ يَبُولُ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فِقَهُ فَقَامَ إِلَى أَبِي وَأُمِّي. فَلَمْ يُؤْنَبْ وَلَمْ يَسُبَّ. فَقَالَ «إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلَاةِ». ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلِ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَعَهُ عَلَى بَوْلِهِ.

107. سنن أبي داود، ص 139، حديث 1109.

108. سنن أبي داود، ص 117، حديث 918:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ سُلَيْمِ الزُّرْقِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ حَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ صَبِيَةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى عَاتِقِهِ يَضَعُهَا إِذَا رَكَعَ وَيُعِيدُهَا إِذَا قَامَ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا.

109. صحيح البخاري، ص 1232، حديث 6203: صحيح مسلم، صفحات 785-786، حديث 2150: سنن ابن ماجه، المجلد 3، ص 314، حديث 3720.

110. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 338.

111. صحيح البخاري، صفحات 189، 1212، أحاديث 948، 6081.

112. صحيح البخاري، صفحات 25-26، حديث 63.

113. صحيح البخاري، صفحات 298-299، حديث 1491:

حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «كَيْفَ كَيْفٍ لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ».

114. ضياء الدين أحمد، «السياسات المالية للنبي الكريم: دراسة حالة لتوزيع الغنيمة في الإسلام المبكر»، الدراسات الإسلامية، المجلد 14، رقم 1 (ربيع 1975)، صفحات 9-25، اصدار خاص 10.

قارن، صحيح البخاري صفحات 278، 617، أحاديث 1395، 3072.

115. سورة الأنفال 8: 38

116. صحيح البخاري، ص 626، حديث 3117.
117. ضياء الدين أحمد، «السياسات المالية للنبي الكريم، ص 11.
118. المصدر نفسه، ص 16.
119. صحيح مسلم، ص 642 حديث 1757 أ.
120. صحيح البخاري، صفحات 406، 411، 427، 496، 588، 884، أحاديث 2068، 2096، 2200، 2509، 2916، 4467.
121. صحيح البخاري، صفحات 553، 587، 621، 622، 623، أحاديث 2739، 2912، 3092، 3093، 3096.
122. فريد دونر، محمد والمؤمنين في أصول الإسلام (كامبريدج وماساتشوستس ولندن: مطبعة بيلكناب من مطبعة جامعة هارفارد، 2010). يعتبر إيمان دونر بالسكونية الإسلامية المبكرة أمراً معقولاً، وجذاباً بشكل قوي، وموثقاً بشكل جيد، وربما مبالغاً فيه قليلاً.
123. مايكل ليكر، دستور المدينة: أول وثيقة قانونية لمحمد (برينستون، نيوجيرسي: داروين، 2004).
124. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 341.
125. المصدر نفسه، ص 342.
126. سنن النسائي، ص 58، حديث 432.
127. سورة الأنبياء 21: 107. الكلمة «للعالمين» تعني حرفياً «العوالم».
128. سورة التكويد 81: 27، سورة الأنبياء 21: 107، انظر أيضاً سورة القلم 68: 52. الكلمة «للعالمين» تعني حرفياً «العوالم».
129. سورة المطففين 83: 6.
130. سورة الأنفال 30: 8.
131. سنن أبي داود، صفحات 194 195-، حديث 1510:
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ طَلِيْقِ بْنِ قَيْسِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ وَأَنْصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ بَغَى عَلَيَّ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا لَكَ ذَاكِرًا لَكَ رَاهِبًا لَكَ مَطْوَعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْ مُنِيبًا رَبِّ تَقَبَّلْ

- تَوْبَتِي وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَتَبَّتْ حُجَّتِي وَأَهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ قَلْبِي».
132. صحيح البخاري، ص 615، حديث 3060.
133. صحيح البخاري، صفحات 874-877، حديث 4418. صحيح مسلم، صفحات 984-980، حديث 2769 د.
134. صحيح البخاري، ص 300، حديث 1500
- قارن ابن هشام، السيرة النبوية ص 74.
135. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 492.
136. ابن هشام، السيرة النبوية ص 543.
137. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 493.
138. مايكل ليكر، معاهدة الحديدية والحملة على خير، دراسات القدس في اللغة العربية والإسلام، المجلد 5 (1984)، ص 1-11.
139. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 642.
140. المصدر نفسه، المجلد 2، صفحات 706-707.
141. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 684.
142. صحيح البخاري، ص 433، حديث 2235.
143. دونر، الفتوحات الإسلامية المبكرة، ص 64.
144. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 597.
146. أحمد الشريف، «ماذا يمكن أن تفعل استعارات النبي محمد؟» التقدّم في اللغة والدراسات الأدبية، المجلد 5، ع 5 (أكتوبر 2018)، ص 69-78.
147. سنن ابن ماجة، المجلد 3، ص 336، حديث 3793.
148. صحيح مسلم، ص 682، حديث 1841.
149. صحيح البخاري، صفحات 1198، 1466، أحاديث 5987، 7502، جامع الترمذي، المجلد 3، ص 51، حديث 1909.
150. سنن أبي داود، ص 608، حديث 4875.
151. سنن النسائي، ص 426، حديث 3106.
152. صحيح مسلم، ص 700، حديث 1902.
153. صحيح البخاري، ص 636، حديث 3158، صحيح مسلم، صفحات 1047-1046، حديث 2961، سنن ابن ماجة، المجلد 3، ص 417، حديث

.3997

154. صحيح البخاري، ص 1195، حديث 5971.
155. صحيح البخاري، صفحات 1053، 1164، أحاديث 5146، 5767.
156. صحيح البخاري، ص 599، حديث 2977، صحيح مسلم، صفحات 181 - 182، أحاديث 523، 523 ب، سنن النسائي، صفحات 423 424-، حديث 3089.
157. لمعرفة تأثير خطب الجمعة التي ألقاها محمد على تطور الشعائر الإسلامية والطقوس الدينية والبلاغة، انظر ليندا ج. جونز، قوة الخطابة في العالم الإسلامي في العصور الوسطى (مطبعة جامعة كامبردج 2012).
158. صحيح البخاري، ص 1302، حديث 6604.
159. صحيح مسلم، ص 705 / حديث 1917.
160. سنن النسائي، ص 565، حديث 4052.
161. سنن أبي داود، ص 460، حديث 3650.
162. صحيح البخاري، صفحات 478-479، حديث 2434، سنن أبي داود ص 459، حديث 3649.
163. سورة الجمعة 62: 9 - 10
164. قارن، صحيح البخاري، صفحات 823 824-، حديث 3211.
165. صحيح البخاري، ص 649، حديث 3211.
166. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد 1، ص 440.
167. صحيح البخاري، ص 715، أحاديث 3567، 3568.
168. صحيح البخاري، ص 27، حديث 68، صحيح مسلم، ص 1002، أحاديث 2821 أ و ج.
169. صحيح البخاري، ص 32، حديث 90.
170. سنن ابن ماجه، المجلد 1، صفحات 44 - 45، حديث 42.
171. صحيح البخاري، ص 33، حديث 95.
172. صحيح البخاري، ص 1309، حديث 6645.
173. يظهر هنا إعادة تجميع مأخوذة من سجل الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 1111 ومن الأحاديث شديدة الاختلاف التي تدل على أجزاء

من الخطاب: صحيح البخاري، ص 26-27، 35، 342، 343، 1206، 1334،  
1390، -1457 1458، الحديث 67، 105، 1739، 1741، 1742، 6043، 6785،  
7078، 7447؛ سنن ابن ماجه المجلد 3، ص 72-73، 74، الأحاديث 055،  
3058.

174. المصادر هي نفسها كما في الاقتباس السابق.

175. المصادر هي نفسها كما في الاقتباس السابق.

176. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 171، 18.

177. المصدر نفسه ص 171.

178. المصدر نفسه صفحات 186 187-.

179. سورة المدثر 74: 24 - 25

180. سورة يس 36: 69، انظر أيضاً سورة الأنبياء 21: 5.

181. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 957.

182. صحيح مسلم، صفحات 851 852-، حديث 2362.

183. المصدر نفسه المجلد 3، صفحات 956-957.

184. المصدر نفسه، المجلد 3، صفحات 957-958.

185. قارن، صحيح البخاري، ص 858، حديث 4333.

186. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 958.

187. المصدر نفسه

188. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تاريخ الرسل والملوك

(بيروت: دار صادر، طبعة 2008)، المجلد 1، ص 370.

189. فريد دونر «مصادر المفاهيم الإسلامية للحرب» في جون كيلسي وجيمس

تيرنر جونسون، منشورات، الحرب والجهاد العادل: المنظورات التاريخية

والنظرية للحرب والسلام في التقاليد الغربية والإسلامية (ويستبورت، سي

تي: جرين وود للنشر، 1991) ص 34.

190. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 642. هنا الخميس تعني الجيش،

انظر صحيح البخاري صفحات 601، 729، أحاديث 2991 و 3647.

191. جويل هيوارد، سلسلة كتاب الحرب في القرآن باللغة الإنجليزية - الكتاب

رقم 14 (عمان: المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية / مؤسسة آل

- البيت للفكر الإسلامي، 2012).
192. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 885.
193. جويل هيوارد، الحصانة المدنية في الفكر الاستراتيجي الإسلامي التأسيسي، مرجع سابق. استشهد.
194. سورة الأنفال 8: 60، قارن، صحيح البخاري، ص 599، حديث 2977، صحيح مسلم، ص 965، حديث 2724، سنن النسائي، ص 58 حديث 432.
195. سورة الأنفال 8: 57، «في الحرب» تحني حرفياً «في الحرب»
196. صحيح البخاري، صفحات 1376 1377-، حديث 6998.
197. صحيح البخاري، ص 874، حديث 4416.
198. صحيح مسلم، ص 965، حديث 27224.
199. سورة النساء 4: 95.
200. سورة محمد 47: 20، سورة التوبة 9: 42، 81، 86، 87 و 93، سورة الأحزاب 33: 18.
201. صحيح البخاري، ص 1392، حديث 7085.
202. صحيح البخاري صفحات 875 877-، حديث 4418، صحيح مسلم، صفحات 980 984-، حديث 2769 د.
203. سنن النسائي، ص 518، حديث 4115.
204. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1 ص 19.
205. ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 4، صفحات 984.
206. المصدر نفسه ص 985.
207. صحيح مسلم، صف 635، حديث 1731 أ، سنن ابن ماجة، المجلد 2، صفحات 532- 533، حديث 2858، جامع الترمذي، المجلد 2، ص 279، حديث 1408.
208. صحيح البخاري، ص 846، حديث 4261.
209. سنن أبي داود، ص 321، حديث 2515، سنن النسائي، ص 585، حديث 4200.
210. سورة المائدة 5: 32.
211. قارن سورة الأنفال 8: 16

212. صحيح البخاري، أحاديث -3027 3033:

3027 حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَفَيْصَرُ لَيْهَلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، وَلَتُقَسَمَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

213. 3028 وَسَمَى الْحَرْبَ خُدَعَةَ

3029 حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَصْرَمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمَى النَّبِيُّ ﷺ الْحَرْبَ خُدَعَةَ.

3033 حَدَّثَنَا صَدَاقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ»

214. صحيح مسلم، ص 637 حديث 1739 - 1740

1739 وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، وَعَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، - وَاللَّفْظُ لِعَلِيِّ وَزُهَيْرٍ - قَالَ عَلِيُّ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ سَمِعَ عَمْرٍو، جَابِرًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ».

1740 وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ».

215. سنن ابن ماجه، المجلد 2، ص 523، أحاديث 2833 و 2834:

2833 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ».

2834 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ مَطَرِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ».

216. سنن أبي داود، صفحات 387-389، أحاديث 2636 و 2637:

2636 حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «الْحَرْبُ خُدَعَةٌ».



2637 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَى غَيْرَهَا وَكَانَ يَقُولُ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَمْ يَجِئْ بِهِ إِلَّا مَعْمَرٌ يُرِيدُ قَوْلَهُ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ» بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِنَّمَا يُرْوَى مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرٍ وَمِنْ حَدِيثِ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

217. جامع الترمذي، ص 408، حديث 1675:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَنَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ». قَالَ أَبُو عِيْسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

218. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 990.

219. المصدر نفسه، المجلد 1، ص 13، ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 2، ص 214.

220. قارن، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 534، 564، 728، 753، 755، 778، المجلد 3، ص 981

221. المصدر نفسه، المجلد 1، ص 342.

222. فريد دونر، «مصادر المفاهيم الإسلامية للحرب»، ص 34 - 35.

223. المصدر نفسه، المجلد 1: ص 299.

224. ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 3، صفحات 389 - 390.

225. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1، ص 338.

226. ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 3، صفحات 589-590.

227. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 486-487.

228. المصدر نفسه، المجلد 2، صفحات 488-489.

229. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 536.

230. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 585.

231. ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 3، ص 359.

232. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 642
233. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 796.
234. المصدر نفسه
235. المصدر نفسه
236. المصدر نفسه
237. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 814.
238. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 758.
239. سورة الحج 22: 40.
240. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 972.
241. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1، صفحات 145-146، 300-307، المجلد 2، صفحات 364-365، المجلد 3، صفحات 129-133، المجلد 4، صفحات 30، 101.
242. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 600 699.-
243. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 495-496.
244. صحيح البخاري، ص 31-32، حديث 89.
245. صحيح البخاري، ص 132، حديث 631:
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرَنَا قَالِ «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ».
246. صحيح البخاري، ص 602، حديث 2997.
247. صحيح البخاري، ص 813، حديث 4077.
248. ابن هشام، السيرة النبوية، المجلد 3، ص 589.
249. صحيح البخاري، ص 1280، حديث 6465.
250. صحيح البخاري، ص 1306، حديث 6622:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلَتْ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْنِتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ».

250. قارن، صحيح البخاري، ص 595، حديث 2957.

251. سنن أبي داود، ص 330، حديث 2608:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرِ بْنِ بَرِّيٍّ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ».

252. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 217 219-.

253. المصدر نفسه صفحات 290-289.

254. المصدر نفسه ص 843.

255. صحيح البخاري، ص 1193، حديث 5964.

256. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 834، صحيح البخاري، صفحات 110، 850، أحاديث 504، 4289.

257. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 984، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 725-724.

258. الواقدي كتاب المغازي، المجلد 3، صفحات 1119-1117، ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد 2، ص 312، صحيح البخاري، صفحات 747، 884، 1409، أحاديث 3730، 4469، 7187، صحيح مسلم، ص 874، حديث 2426أ.

259. صحيح البخاري، ص 1285، حديث 6496:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

260. قارن، صحيح البخاري، ص 24، حديث 59، رياض الصالحين، حديث 1837.
261. صحيح مسلم، ص 675، حديث 1825، سنن النسائي، ص 518، حديث 3697.
262. صحيح البخاري، صفحات 756-757، 138، أحاديث 3792، 7057، جامع الترمذي، المجلد 3، ص 177، حديث 2189.
263. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 754-755.
263. إيلا لاندوا تاسيرون، «ملاح جيش المسلمين قبل الفتح في زمن محمد»، في أفيريل كاميون، محرر، دراسات في العصور القديمة المتأخرة والإسلام المبكر: الشرق الأدنى البيزنطي والإسلامي المبكر، 3 (برينستون نيوجيرسي: The داروين برس، 1995)، ص 299 - 336، خاصة. ص 317.
264. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 741، 750..
265. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 984-985، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 770.
266. المصدر نفسه، المجلد 2، ص 770
267. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 833.
268. المصدر نفسه، صفحات 833-836، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، صفحات 875-876.
269. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 835، قارن صحيح البخاري، صفحات 859، 1409-1410، أحاديث 7189، 4339، سنن النسائي، ص 734، حديث 5407.
270. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 892.
271. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 835، قارن، صحيح مسلم ص 909، حديث 2541أ.
272. سنن أبي داود، ص 337، حديث 2669:
- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْمُرْقَعِ بْنِ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّهِ، رَبَاحِ بْنِ رِبِيعٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ «انظُرْ عَلَامَ

اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ» فَجَاءَ فَقَالَ عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ». قَالَ وَعَلَى الْمُقَدَّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ «قُلْ لِحَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا».

قارن، سنن ابن ماجة، المجلد 2، ص 526، حديث 2842، صحيح البخاري، ص 605، أحاديث 3014، 3015، صحيح مسلم، ص 637، 638، أحاديث 1744أ، 1744ب.

273. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 722.

274. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1، صفحات 342، 343.

275. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 728.

276. سنن أبي داود، ص 453، حديث 3592.

277. صحيح البخاري، ص 860، أحاديث 4341، 4342، ابن هشام، السيرة النبوية، ص 957.

278. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1، ص 215.

279. صحيح البخاري، ص 791، أحاديث 3955، 3956.

280. صحيح البخاري، صفحات 599، 743، 839، أحاديث 2975، 3702، 4209.

281. صحيح البخاري، ص 615، حديث 3063.

282. صحيح البخاري، ص 846، حديث 4262، واللافت أن هذا الحديث المنفرد يذكر اسم خالد بأنه «سيف من سيوف الله» العبارة نفسها موجودة في كتاب المغازي للواقدي، المجلد 3، ص 883.

283. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 881-880.

284. المصدر نفسه ص 982.

285. سنن أبي داود، ص 332، حديث 2627:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغْبِرَةِ، حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ بَشْرِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مَالِكٍ، مَنْ رَهْطِهِ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَسَلَّحَتْ رَجُلًا مِنْهُمْ سَيْفًا فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَأَمْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي».

286. صحيح البخاري، ص 596، حديث 2964.
287. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 3، ص 873.
288. صحيح البخاري، ص 1428، حديث 7288.
289. جامع الترمذي، المجلد 2، صفحات 287-286، حديث 1424. اختلفت الأراء في مصداقية اسناد هذا الحديث.
290. صحيح البخاري، ص 482، حديث 2442.
291. جامع الترمذي، المجلد 3، ص 90، حديث 2015.
292. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 798.
293. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، ص 613.
294. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 810-809، الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 797-798.
295. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 816، انظروا إلى إعادة كتابة هذه القصة بحذافيرها في صحيح البخاري، ص 849، حديث 4280.
296. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 682-681.
297. صحيح مسلم، ص 679، حديث 1833أ، سنن أبي داود، ص 452، حديث 3581.

298. سنن أبي داود، صفحات 377-376، حديث 2946:

حَدَّثَنَا ابْنُ السَّرْحِ، وَابْنُ أَبِي خَلْفٍ، - لَفْظُهُ - قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ - قَالَ ابْنُ السَّرْحِ ابْنُ الْأَتْبِيَّةِ - عَلَى الصَّدَقَةِ فَجَاءَ فَقَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ «مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَجِيءُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ فَيَنْظُرَ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ يَبْعِرًا فَلَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ فَلَهَا حُورٌ أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطِيهِ ثُمَّ قَالَ «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ».

قارن، صحيح البخاري، صفحات 1407، 1412، أحاديث 7174، 7197،

صحيح مسلم، ص 678، حديث 1832

299. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 1، صفحات 304-305.
300. هانز ج. مورغنثاو، السياسة بين الأمم: الكفاح من أجل السلطة والسلام (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، 1948).
301. خليل إبراهيم حناباي، «لقاء النبي محمد بوفد من المسيحيين من نجران وحادثة المباهلة»، الفصيلة الإسلامية، المجلد 59، رقم 3 (2015)، ص 291-314
302. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد 1، ص 419.
303. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد 1، ص 419، سنن أبي داود، ص 389، حديث 3041.
304. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 410-411، صحيح البخاري، ص 1422، حديث 7254.
305. سنن أبي داود، صفحات 349، 350، أحاديث 2758، 2761.
306. محمود شريف بسيوني، «حماية الدبلوماسيين في ظل الشريعة الإسلامية»، المجلة الأمريكية للقانون الدولي، المجلد 74، ع 3 (يوليو 1980)، ص 609-633.
307. صحيح البخاري، ص 1357، حديث 6914:  
 حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ،  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ  
 يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».
308. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 603-604.
309. سورة النحل 16: 125
310. سورة طه 20: 44
311. ابن هشام، السيرة النبوية، ص 880.
312. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 854، 855.
313. صحيح البخاري، ص 682، حديث 4351، صحيح مسلم، صفحات 353-354، حديث 1064 ب.
314. ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، المجلد 1، صفحات 349، 353، 354، وصفحات أخرى.
315. سورة إبراهيم 14: 37.
316. سورة البقرة 2: 256

317. سورة المائدة 5: 1 انظر أيضاً سورة البقرة 2: 177.

318. الواقدي، كتاب المغازي، المجلد 2، صفحات 780، 795.

319. سورة التوبة 9: 6.

320. فريد دونر، «إمدادات الغذاء في مكة ومقاطعة محمد»، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق، المجلد 20، ع 3 (أكتوبر 1977)، ص 249-266.

321. ابن هشام، السيرة النبوية، صفحات 958-959.

322. قارن، جامع الترمذي، المجلد 3، ص 526، حديث 1548 (تم اضافة تأكيدات):

وروى أبو البحتري أن جيشاً من المسلمين، بقيادة سلمان الفارسي، حاصر أحد القادة الفرس. قالوا: يا أبا عبد الله! فقال: دعوني أَدْعُوهم كما سمعت رسول الله صلي يناديهم، فذهب إليهم سلمان وقال: ما أنا إلا رجل منكم، فارسي وأنتم ترون أن العرب يطيعونني. إن أسلمتم فلکم مثل ما لنا، وسيطلب منك ما هو مطلوب منا. إذا رفضت وحافظت على دينك فنتركك له، وتعطينا جزية من يدك وأنت مطيع. فقالوا: لن نمحك الجزية. فقالوا: يا أبا عبد الله! فقال: لا، قال: فقام بنفس الدعوة لمدة ثلاثة أيام، ثم قال: هاجمهم، فقال: فهاجمناهم، وقمنا بغزو القلعة». حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ، أَنَّ جَيْشًا، مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَمِيرَهُمْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ حَاصِرُوا قَصْرًا مِنْ قُصُورِ فَارِسَ فَقَالُوا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ قَالَ دَعُونِي أَدْعُهُمْ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُمْ. فَأَتَاهُمْ سَلْمَانُ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَارِسِيٌّ تَرَوْنَ الْعَرَبَ يُطِيعُونَنِي فَإِنْ أَسَلَمْتُمْ فَلَكُمْ مِثْلُ الَّذِي لَنَا وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَا وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا دِينَكُمْ تَرَكْنَاكُمْ عَلَيْهِ وَأَعْطَوْنَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ. قَالَ وَرَطَّنَ إِلَيْهِمْ بِالْفَارِسِيَّةِ وَأَنْتُمْ غَيْرُ مَحْمُودِينَ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ. قَالُوا مَا نَحْنُ بِالَّذِي نُعْطِي الْجِزْيَةَ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُكُمْ. فَقَالُوا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَا نَنْهَدُ إِلَيْهِمْ قَالَ لَا. فَدَعَاهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا ثُمَّ قَالَ أَنْهَدُوا إِلَيْهِمْ. قَالَ فَذَهَبْنَا إِلَيْهِمْ فَفَتَحْنَا ذَلِكَ الْقَصْرَ. قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ بَرِيْدَةَ وَالنُّعْمَانَ بْنِ مِقْرَانَ وَابْنِ عَمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَحَدِيثُ سَلْمَانَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ



عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ. وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لَمْ يُدْرِكْ سَلْمَانَ  
لَأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيًّا وَسَلْمَانَ مَاتَ قَبْلَ عَلِيٍّ. وَقَدْ نَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ  
مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هَذَا وَرَأَوْا أَنَّ يُدْعَوُا قَبْلَ الْقِتَالِ وَهُوَ قَوْلُ إِسْحَاقَ  
بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الدَّعْوَةِ فَحَسَنٌ يَكُونُ ذَلِكَ أَهْيَبَ. وَقَالَ  
بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا دِعْوَةَ الْيَوْمِ. وَقَالَ أَحْمَدُ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ أَحَدًا يُدْعَى.  
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ لَا يُقَاتَلُ الْعَدُوُّ حَتَّى يُدْعَوْا إِلَّا أَنْ يُعْجَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ  
يَفْعَلْ فَقَدْ بَلَغَتْهُمْ الدَّعْوَةُ».

323. صحيح مسلم، ص 635، حديث 1731 أ، ب.

324. المصدر نفسه، ص 960.

325. مارتين فان كريفيلد، القيادة في الحرب (كامبريدج، ماساتشوستس:

مطبعة جامعة هارفارد، 1985)، ص. 64

326. جامع الترمذي، المجلد 3، ص 333، حديث 2517.

## قائمة المراجع

### مجموعات الحديث

- صحيح البخاري (القاهرة: دار الآفاق العربية، 2004)
- صحيح مسلم (القاهرة: دار الغد الجديد، 2007)
- سنن أبو داود (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، 2015).
- سنن ابن ماجة (القاهرة: دار الحديث، 2005).
- سنن النسائي (الرياض: دار السلام، 1999).
- جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008)
- الأدب المفرد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004).

### أعمال أخرى

- أدير، جون، قيادة محمد (لندن: كوجان بايج، 2010)
- أحمد، ضياء الدين، «السياسات المالية للنبي الكريم: دراسة حالة لتوزيع الغنيمة في الإسلام المبكر»، الدراسات الإسلامية، المجلد 14، رقم 1 (ربيع 1975).
- الأعظمي، نبيل، محمد: 11 صفة قيادية غيرت العالم (سوانزي: كلاريتاس بوكس، 2019).
- الواقدي، كتاب المغازي (بيروت: مؤسسة العلمي، 1989).
- بيسوني، م، شريف، «حماية الدبلوماسيين في ظل الشريعة الإسلامية»، المجلة الأمريكية للقانون الدولي، المجلد 74، العدد 3 (يوليو 1980)، صفحات 609-633.
- بيكون ورفيق عيسى وجمال بدوي، القيادة من منظور إسلامي (ماريلاند: أمانة، 1999).
- براون، جوناثان إيه سي، الحديث: تراث محمد في العصور الوسطى والعالم الحديث (أكسفورد: ون وورد، 2009. طبعة 2011).
- دونر، فريد، «إمدادات الغذاء في مكة ومقاطعة محمد»، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق، المجلد 20، العدد 3 (أكتوبر 1977)، ص 249-266.

- محمد والمؤمنون في أصول الإسلام (كامبريدج وماساتشوستس ولندن: مطبعة بيلكناب من مطبعة جامعة هارفارد، 2010).
- الفتوحات الإسلامية المبكرة (مطبعة جامعة برينستون، 1981).
- «مصادر المفاهيم الإسلامية للحرب» في جون كيلساي وجيمس تورنر جونسون، محرران، الحرب العادلة والجهاد: وجهات نظر تاريخية ونظرية حول الحرب والسلام في التقاليد الغربية والإسلامية (ويستبورت، كونيتيكت: مطبعة غرينوود، 1991)، ص 31-69.
- الشريف، أحمد، «ما الذي يمكن أن تفعله الاستعارات النبوية؟» التقديم في الدراسات اللغوية والأدبية، المجلد 5، عدد 5 (أكتوبر 2018)، ص 69-78.
- هانشباي، خليل إبراهيم، «لقاء النبي محمد بوفد من المسيحيين من نجران وحادثة المباهلة»، الفصلية الإسلامية، المجلد 59، رقم 3 (2015)، ص 291-314.
- هيوارد، جويل، الحصانة المدنية في الفكر الاستراتيجي الإسلامي التأسيسي: تحقيق تاريخي (عمان: المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية، 2016).
- سلسلة كتاب الحرب في القرآن باللغة الإنجليزية - الكتاب رقم 14 (عمان: المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية / مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، 2012).
- هويلاند، روبرت ج، رؤية الإسلام كما رآه الآخرون: مسح للكتابات المسيحية واليهودية والزرادشتية عن الإسلام المبكر (بيسكاتواي، نيوجيرسي: مطبعة جورجياس، طبعة 2019).
- ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: المكتبة العصرية، 2012)
- ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير (كتاب بهافان، طبعة 2009)
- ليندا ج. جونز، قوة الخطابة في العالم الإسلامي في العصور الوسطى (مطبعة جامعة كامبريدج، 2012).
- لاندوا تاسرون، إيلا، «ملاحح جيش المسلمين قبل الفتح في زمن محمد»، في أفيريل كامبيرون، محرر، دراسات في العصور القديمة المتأخرة والإسلام المبكر: الشرق الأدنى البيزنطي والإسلام المبكر، 3 (برينستون) نيوجيرسي: داروين برس، 1995)، الصفحات 299-336، بشكل خاص. ص 317.
- الأسس الدينية للولاء السياسي: دراسة للبيعة في دراسة بحثية عن الإسلام

- قبل الحداثة دراسات حول العالم الإسلامي، السلسلة رقم 2، الورقة رقم 4، مايو 2010 (واشنطن العاصمة: معهد هدسون).
- لين، إدوارد ويليام، معجم عربي-إنجليزي مشتق من أفضل المصادر الشرقية وأكثرها غزارة (لندن: ويليامز ونورجيت 1863).
  - ليكير، مايكل، دستور المدينة المنورة: وثيقة محمد القانونية الأولى (برينستون، نيوجيرسي: داروين، 2004)
  - معاهدة الحديبية والحملة على خيبر «دراسات القدس في العربية والإسلام، المجلد 5 (1984)، ص 1-11.
  - المرينسي، فاطمة، المرأة والإسلام: مغزى تاريخي ولاهوتي ترجمته ماري جو ليكلاند (أكسفورد: بلاكويل، 1987).
  - مورغنثاو، هانز جيه، السياسة بين الأمم: النضال من أجل السلطة والسلام (نيويورك: ألفريد أ. كنوبف، 1948).
  - نظير كا خيل محمد، التطور المفاهيمي والمؤسسي للشورى في الإسلام المبكر، الدراسات الإسلامية، المجلد 19، رقم 4 (شتاء 1980)، ص 271-282.
  - بورشرياتى، بارفاني، تراجع وسقوط الإمبراطورية الساسانية: الكونفدرالية الساسانية-البارثية والغزو العربي لإيران (لندن: آي.بي. تاوروس، 2008).
  - فان كريفيلد، مارتن، القيادة في الحرب (كامبريدج، ماساتشوستس: هارفارد مطبعة الجامعة، 1985).
  - ودود، أمينة، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص المقدس من منظور المرأة (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999).



## الفهرس

|                    |                           |                     |                           |
|--------------------|---------------------------|---------------------|---------------------------|
| 81، 61             | أرسطو                     | 103، 47، 20، 18     | ابراهيم                   |
| 85                 | أسامة بن زيد              | 86                  | ابن أبي العوجاء<br>السلمي |
| ،48، 47، 14، 6، 5  |                           |                     |                           |
| ،55، 54، 51، 50    |                           |                     |                           |
| ،93، 69، 60، 57    | استراتيجية                | 94                  | ابن اللتبية               |
| 119، 97            |                           |                     |                           |
| 50، 5              | استراتيجية عسكرية         | 61، 45، 14          | ابن سعد                   |
| 93                 | أم سلمة                   | ،45، 37، 35، 28، 14 | ابن هشام                  |
|                    |                           | 108، 79، 48         |                           |
|                    | الامبراطورية<br>الساسانية | 136، 84، 37، 19     | أبو بكر                   |
| 155، 129، 19       |                           |                     |                           |
| 98، 48             |                           | 85                  | أبو ذر الغفاري            |
| 144، 93، 62، 44    | أنس بن مالك               | 39                  | أبو سفيان بن الحارث       |
| ،62، 58، 48، 28    |                           | ،77، 65، 53، 39     |                           |
| 88، 67، 66، 65     | الأنصار                   | 102                 | أبو سفيان بن حرب          |
| ،37، 31، 29، 28، 9 |                           |                     |                           |
| 123، 113، 91، 39   | بدر، معركة                | 83                  | أبو سلمة بن عبد الأسد     |
| 85                 | بشير بن سعد               | 100، 73             | أبو عبيدة بن الجراح       |
|                    |                           | ،129، 128، 19       |                           |
| 109، 108           | بنو الحارث بن<br>كعب      | ،136، 135، 131      | أبو هريرة                 |
|                    |                           | ،144، 143، 137      |                           |
|                    |                           | ،146                |                           |
| 95                 | بنو الخزرج                | 119، 60، 57         | الاتصال الاستراتيجي       |
| 55، 54             | بنو المصطلق               | 90                  | إجتهاد                    |
| 87                 | بنو الملوخ                | 112، 33، 28، 17     | إجماع                     |
|                    |                           | ،19، 18، 17، 15، 14 |                           |
|                    |                           | ،45، 43، 37، 31، 23 |                           |
| 54، 52، 45         | بنو النضير                | ،72، 62، 59، 58، 57 | أحاديث                    |
|                    |                           | ،109، 91، 80        |                           |

|                         |                              |                         |                             |
|-------------------------|------------------------------|-------------------------|-----------------------------|
| .92، .89، .88، .87، .74 | خالد بن الوليد               | 95                      | بنو أوس                     |
| 108، 100، .94           |                              |                         |                             |
| 92                      | خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي | 107، 105                | بنو بكر                     |
| 75، .54                 | خدع                          | 85، .70                 | بنو ثقيف،                   |
| 87                      | خراش بن أمية                 | 88، .87                 | بنو جذيمة                   |
| 113، .61، .60، .59      | خطب                          | 107، 105                | بنو خزاعة                   |
| 63، .62، .60، .59       | خطبة                         | 94، .87                 | بنو سليم                    |
| 59                      | خطبة الجمعة،                 | 91                      | بنو قريظة                   |
| 46، .45                 | خُمس                         | 77                      | بنو لحيان                   |
| .54، .53، .52، .46، .34 |                              |                         |                             |
| .79، .79، .77، .70، .55 | خير                          | 87                      | بنو ليث                     |
| 107، .99، .94، .91      |                              |                         |                             |
| .98، .97، .54، .53، .36 |                              |                         |                             |
| .103، .101، .100، .99   | دبلوماسية،                   | .98، .27، .24، .23، .22 | البيعة                      |
| 107، 106، .104          |                              | 106                     |                             |
| 48                      | دستور المدينة                | 36                      | تبوك                        |
| 19، .18                 | الرعي، كقيادة                | 74، .59، 12، .11        | تشويه وتحريم                |
| 83، .72، .61            | الروح                        | 57                      | التوراة، انظر الكتاب المقدس |
| 71                      | روزفلت، ثيودور               | 84، .57                 | جعفر بن أبي طالب            |
| 82                      | الزبير بن العوام،            | 54                      | جويرية بنت الحارث           |
| .99، .91، .89، .52، .50 | زكاة                         | 95                      | الحارث بن سويد بن الصامت    |
| 108                     |                              |                         |                             |
| 85، .74، .36            | زيد بن حارثة                 | 93                      | حاطب بن أبي بلتعة           |
| 42، .41                 | سباق الابل                   | 91، .30، .29            | الحباب بن المنذر            |
|                         |                              | .47، .34، .32، .25، .23 |                             |
| 42، .41                 | سباق الخيول                  | .99، .93، .54، .53      | الحديبية، معاهدة/ صلح       |
|                         |                              | .105، .103، .101        |                             |
|                         |                              | 107، .106               |                             |
| 72                      | السجلات العسكرية             | 77                      | حذيفة بن اليمان             |
| 76                      | سعد بن أبي وقاص              | 77، .76، .5             | الحرب خدعة                  |
| 94، .83، .66            | سعد بن عبادة                 | 101                     | حصانة دبلوماسية             |
| .91، .88، .84، .71، .36 | علي بن أبي طالب              | 112، .91، .90           | سُنة                        |
| 100                     |                              |                         |                             |

|                    |                                     |                 |                                     |
|--------------------|-------------------------------------|-----------------|-------------------------------------|
| 154                | عمّان: انظر الحصانة<br>الدبلوماسية. | 61              | شعارات                              |
| 84، 76، 33، 31     | عمر بن الخطاب                       | 112، 32، 31، 27 | شورى                                |
| 53، 33، 32         | عمرة                                | 46، 45          | صدقة                                |
| 87، 73، 25         | عمرو بن العاص                       | 102             | صفوان بن أمية                       |
| 21                 | العهد الجديد                        | 54              | صفية بنت حيي بن<br>الأخطب           |
| 77، 54، 53، 52     | غطفان                               | 61              | العاطفة                             |
| 107، 54            | فدك                                 | 83              | عبد الرحمن بن سمرة                  |
| 54، 53، 49، 48، 27 |                                     |                 |                                     |
| 98، 95، 73، 69، 55 | القلبية                             | 21              | عبد الله ابن حذافة بن<br>قيس بن عدي |
| 117                |                                     |                 |                                     |
| 20، 19، 18، 17، 5  |                                     |                 |                                     |
| 27، 25، 23، 22، 21 |                                     |                 |                                     |
| 45، 43، 37، 35، 30 |                                     |                 |                                     |
| 59، 57، 51، 50، 49 |                                     |                 |                                     |
| 74، 72، 71، 65، 60 | قرآن                                | 83              | عبد الله بن أبي                     |
| 84، 83، 80، 78، 75 |                                     |                 |                                     |
| 102، 101، 91، 90   |                                     |                 |                                     |
| 105، 104           |                                     |                 |                                     |
| 34                 | غنائم الحرب                         | 92              | عبد الله بن أنيس                    |
| 69، 66، 65، 54، 45 | الغنيمة: انظر غنائم<br>الحرب        | 73              | عبد الله بن جحش                     |
| 102، 89            |                                     |                 |                                     |
| 53، 52، 41، 33، 32 |                                     |                 |                                     |
| 77، 76، 65، 64، 55 |                                     |                 |                                     |
| 105، 104، 91، 86   | قريش                                | 36              | عبد الله بن خيثمة<br>السالمي        |
| 107                |                                     |                 |                                     |
| 86                 | قطبة بن عامر بن<br>حديدة            | 91، 18          | عبد الله بن عمر                     |
| 91، 90، 89         | معاذ بن جبل                         | 84              | عتاب بن أسيد                        |
| 76                 | معبد بن أبي معبد<br>الخراعي         | 64              | عتبة بن ربيعة                       |
| 82، 76، 52، 38، 22 |                                     |                 |                                     |
| 95، 87، 84         | معركة أحد                           | 85              | عثمان بن أبي العاص                  |
| 102، 30، 29        | معركة الطائف                        | 84              | عثمان بن عفان                       |



|                     |                          |                     |                         |
|---------------------|--------------------------|---------------------|-------------------------|
| .32، 29، 28، 24، 19 |                          |                     |                         |
| .49، 48، 47، 39، 33 |                          |                     |                         |
| .55، 54، 53، 52، 50 |                          |                     |                         |
| .67، 65، 64، 63، 60 |                          |                     |                         |
| .84، 82، 77، 76، 70 | مكة                      | 57                  | الكتاب المقدس           |
| .94، 93، 92، 87     |                          |                     |                         |
| .102، 101، 100      |                          |                     |                         |
| .105، 104، 103      |                          |                     |                         |
| .108، 107، 106      |                          |                     |                         |
| 111                 |                          |                     |                         |
| 109، 88، 84، 48     | مهاجرين                  | 19                  | كسرى                    |
| .92، 87، 79، 78، 74 | مؤتة                     | 105، 85، 52، 24     | كعبة                    |
| 93                  |                          | 108                 |                         |
| 99                  | مورغنثاو، هانز           | 51                  | ماركس، كارل             |
| 111، 78، 13         | نابليون بوناپرت          | 81                  | مالك بن الحويرث         |
| 73                  | نخلة                     | 95                  | المجذر بن زياد          |
|                     |                          | ،35، 32، 29، 28، 24 |                         |
|                     |                          | ،49، 48، 45، 44، 36 |                         |
|                     |                          | ،55، 54، 53، 52، 50 |                         |
| 76                  | نعيم بن مسعود            | 73، 71، 65، 64، 60  | مدينة                   |
|                     |                          | ،94، 84، 83، 76، 75 |                         |
|                     |                          | ،103، 100، 99، 98   |                         |
|                     |                          | 111، 107، 105       |                         |
| 30                  | نوفل بن معاوية<br>الديلي | 117، 84، 50         | المسيحية                |
| 83، 64، 28، 24      | هجرة                     | 84                  | مصعب بن عمير            |
| 80، 73              | وحدة القيادة             | 75، 73، 45، 37، 32  | الواقدي، محمد بن<br>عمر |
|                     |                          | 93، 89، 79، 77      |                         |
| 90، 13، 12، 11      | يسوع                     | 109، 100            | وفد                     |
|                     |                          | ،53، 49، 48، 47، 31 |                         |
|                     |                          | 54                  | يهود                    |

## هذا الكتاب

نظراً إلى التأثير الهائل للنبي الإسلامي محمد على التاريخ ، إلا أنه ومن المدهش وجود عدد قليل فقط من الكتب التي تُحلل قيادته على وجه التحديد القلة التي وجدت تؤكد أنّ محمداً كان قائداً رائعاً لأنه كان رجلاً رائعاً. أي أنه نجح في مهمته بسبب أخلاقه العالية وصفاته الشخصية.

ويرى البروفيسور جويل هيوارد أنّ هذا التفسير غير كامل وغير كافٍ تقريباً. إلا انه لا يختلف في أنّ محمداً كان رجلاً ذو أخلاقٍ عالية. ومع ذلك، فقد اقترب من قيادة النبي من وجهة نظرٍ مختلفة. فقد قام بفحص وتدقيق أقدم المصادر العربية بشكلٍ حيادي وفقاً للمعايير الصارمة للتحقيق التاريخي من أجل التأكد فيما إذا كانت أفعال محمد الواعية وسلوكه وأساليبه يُمكن أن تُوفر أي رؤى جوهرية وهادفة حول فعالية قيادته الاستراتيجية. ويخلص هيوارد إلى أن محمداً كان رجلاً ذكياً بشكلٍ غير مألوف، ومُدرِكاً للأوضاع من حوله، ولديه القدرة على إنشاء وإيصال رؤية إستراتيجية معقولة لمستقبلٍ حتميٍّ ومرغوب. وعندما ترسخت بصيرته المتسمة بالذكاء العاطفي والمهارة والقيادة العملية جداً، استطاعت هذه الرؤية المترابطة بذكاء أن تُقنع أعداداً متزايدة من الناس باتباعه، وبالمخاطرة بكل شيء عن طيب خاطر للنضال من أجل تحقيق العالم الجديد الجريء الذي توقعه.

يوضح هيوارد من خلال تحليل أصليٍّ ودقيق قام به بدقة أن محمداً كان "قائداً فعّالاً للغاية". يُقدم هذا الكتاب المثير للاهتمام والمتاح، والذي يتسم بأنه ذو عمق علميٍّ، مساهمة كبيرة في كل من دراسات القيادة والسيرة النبوية.

"إنّ قيادة محمد تُشكل مصدراً عظيماً للمعرفة عن محمد وبداية الإسلام. والواقع أنه فضلاً عن كون الكتاب غنيٍّ بالمعلومات التاريخية، إلا أنه يُقدم دروساً قيّمة حول القيادة القادرة على مساعدة قادة العالم وصُنّاع القرار والمدرسين والأشخاص من مختلف مناحي الحياة على التواصل والقيادة بشكلٍ أفضل. العديد من صفات القيادة الجديرة بالملاحظة تم إستخلاصها من خصال النبي محمد، تلك الخصال التي لا يزال للكثير منها تأثيره حتى يومنا هذا".

سان فرانسيسكو ريفيو أوف بوكس